آية المشكاة في القرآن الكريم قراءة تأويلية

أ.م.د. مجيب سعد أبو گطيفة

جامعة كربلاء كلية العلوم الاسلامية قسم الفقه وأصوله

The Verse of the Mishkat in the Holy Qur'an: An Interpretive Reading

Asst. Prof. Mujib Saad Abu Qtaifa

University of Karbala, College of Islamic Sciences, Department of Jurisprudence and its Principles

ملخص البحث

حينما يدركُ منتجُ النصِّ أنَّ هناك خطراً محدقاً بما ينتجه من حقائق، مهدداً إياها بأن يخفيها عمَّنْ كُتِبَتْ لهم أو يتلاعبُ بها بأنْ يحرفها أو يبعدها عن المنحى الذي أُنتجت لأجله بأنْ يجعلها تصبُّ لصالحهوهذا ما وقفنا عليه في كثير من الحقائق التي تلاعب بها المبطلون وحرفوها وغيروا مسارها الصحيحهنا يلجأ منتجُ النصِّ إلى اتباع أساليبَ أخرى ليحافظَ على ما يبثه من حقائقَ. ولم يكن ذلك ممكناً إلا عن طريق الرمز.

وبذلك يُعدُّ ظهورُ الرمزِ منفذاً واسعاً للإنسان يتمكن عن طريقه أن يوصل رسالته كاملة الى المتلقي من دون أنْ يصيبها أي تحريف أو تزوير أو تلاعب.

ولما كان التعبير في هذه القضية قائماً على الرمزِ فلابُدَّ من الوقوف على الشفرات التي يصل المحلل منها إلى كنه النص ويفهم المراد منه، وهذا يبين سبب بيان المراد من الشفرة.

وإنَّ لجوء منتج النص إلى الرمز في إيصال بعض الحقائق إلى المتلقي كان سبباً في ظهور التأويل الذي يصبُّ جُلَّ اهتمامه على البحث «عن المعنى القصدي الذي يخفيه المؤلف في مكان ما من نصه».

فالوقوف على الشفرات التي يشفرها منتج النص تمكن المحلل من الوَصْلِ بين خيوط الرمز وتأويل معناه. وبعد بيان طريقة تأويل الرمز وبيان دلالاته بقي علينا أن نرى هل هناك شخصية رمزية في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ النور من الآية ٣٥

وسيظهر في هذا البحث كيف أنَّ القرآن الكريم استعمل الرمز في الإشارة إلى قضية كبيرة بالغة الأهمية، سنقف على طرف منها في تحليلنا لهذه الآية ونفصل القول فيها في بحوث أخرى بعونه تعالى.

Abstract

When the producer of the text realizes that there is an imminent danger to the facts he produces, which threatens to hide them from those for whom they were written or manipulate them by distorting them or diverting from the direction for which they were produced by making them work in his favor - and this is what we found in many of the facts that were manipulated and distorted by the invalids and change its correct path - here the text producer resorts to other methods to preserve the facts he transmits. This was only possible through symbols.

Thus, the emergence of the code is a wide outlet for the human being through which he can convey his message completely to the recipient without being affected by any distortion, forgery or manipulation.

Since the expression in this case is based on the code, it is necessary to identify the codes through which the analyzer reaches at the essence of the text and understands what is meant by it. This shows the reason for clarifying what is meant by the code.

The resort of the text producer to the code in conveying some facts to the recipient was the reason for the emergence of interpretation, which focuses most in of its attention on searching "for the intended meaning that the author hides somewhere in his text."

Knowing the codes encoded by the text producer enables the analyst to connect the threads of the code and interpret its meaning. After explaining the method of interpretation of the code and clarifying its implications, it remains for us to see whether there is a symbolic figure in the Almighty's saying اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ (An-Nur 35).

It will appear in this research how the Holy Qur'an used the code in referring to a great issue of great importance, we will stand on a part of it in our analysis of this verse and we will discuss it in other researches with the help of Almighty.

المقدمة

الحمدُ لله الذي أرسلَ رسولَه بالحقِّ، باسطِ الرحمةِ، شديدِ الإنتقامِ، فعَّالٍ لما يشاءُ، وصلَّى اللهُ على صفوةِ خلقِهِ فاطمةَ وأبيها، وبعلِها وبنيها، والسرِّ المستودعِ فيها، نوره وعيبة علمهِ، ومختلف ملائكته، وبعد.

لا تنفصلُ المشكلةُ التاريخيةُ عن المشكلةِ اللغويةِ في النصِّ السماويِّ، فمن المعلومِ أنَّ البحثَ في العلومِ الإنسانيةِ يحظى بجانبٍ غير قليلٍ مِنَ الذاتيةِ، فإذا صاحبَ ذلك جانبٌ من التآمرِ وقصديةِ حرفِ النصوصِ عن مسارِها الطبيعي كانتْ النتائجُ فادحةً فضلاً عن المزيدِ من التناقضاتِ التي سيفرزها البحثُ الذاتي إذ أنَّ كلَّ تأويلٍ لا يسلمُ من الذاتيةِ، لكن المنهج يسبغ على الذاتية صفة الموضوعية فيُصبح التأويل سيميائياً يكشفُ عن المعنى المخبَّأ في النصِّ، ويمنع المؤول من وضع المعنى الذي يريد.

وما أنْ تصلَ القضيةُ أو مجرَّدَ أنْ تقتربَ من قضيةِ الحكمِ وإغراءِ السلطةِ حتى تزدادَ معالمُ هذهِ الذاتية وضوحاً، ويتناسبُ معها بالإزديادِ الشعورُ بتغييرِ بعضِ الحقائقِ. وإنَّ أي محاولة لمواجهةِ الذاتيةِ بالمنطقِ فإنَّها لن تفضي إلى نتيجةٍ حَسَنَةٍ بل إنَّها ستُزيد الأمرَ سوءاً؛ إذ إنَّ الذاتية لا تعاني من خللٍ في المنطقِ بل إنَّ هناك غايةً وإرادةً معينة تهدف إلى تحقيقها، وإنَّها تُوظِّف العقلَ والمنطقَ لخدمة هذه الغاية؛ لذا تجدُ الاختلافَ في دِلالةِ النصِّ السماويِّ على أوجُهٍ؛ لأنَّه النصُّ الأكثرُ خطورةً والأكبرُ أهميةً؛ لهذا نتوقَّعُ أنْ تكونَ الهجمةُ عليه بأشدِّ ضراوتها وشراستها.

ولَمَّا كانَ اللهُ تعالى قد قيَّضَ للحفاظِ على هذا النصِّ حارسين، الأول: يتمثل ببضعةِ شخوصٍ، والثاني: يتمثل بنظامه الداخلي المحكم فإنَّهم سيعمدون إلى هذين الحارسين للاستحواذ عليهما، وتعطيلهما عن

العملِ.

فالشخوص قضوا عليهم بين مسمومٍ ومقتولٍ، وما أسهل ذلك على من محض الكفر محضًا، وأمَّا النظام الداخلي فإنَّه سَتُسَخَّر له الأقلام، ولم يدَّخروا جهداً لتضييع معالمه بين ركامٍ هائلٍ من التقديرات المجحفةِ والمحذوفات المقصودة، وكان المجازُ من بين ذلك سلاحاً شديدَ الضراوةِ.

وبعد إزالةِ تلك الشخوص الحارسة صار التركيز في تغييب ذكرهم من النصِّ القرآني وتضليل المتلقين عن دلالته، إذ إنَّ النصَّ متاحٌ للجميعِ، واحتمالية اكتشافِ اللعبةِ كبيرة؛ لذا عمدوا إلى تسيير العقل الجمعي نحو علمهم الكبير ذي العناوين البرَّاقة، فبين البلاغة والنحو، واعتباطية الإشارة اللغوية اختلط الحابل بالنابلِ.

وإن ورود الآيات القرآنية التي تؤكد أنَّ القرآن محوظٌ من التحريف والتبديل، وورود نص المعصومِ المفسر للآيات كلُّ ذلك كان له أثرٌ في الوصول إلى تلك الحقائقِ.

لكن المشكلة أنَّ نصَّ المعصومِ هو الآخر عُومِلَ بالطريقةِ نفسِها التي فككت النصَّ، وأعادت تركيبه على وفق ما تشتهي الأنفس، فتجدُ أنَّ بعضَ المفسرين لم يستفيدوا من نصِّ المعصومِ في تفسير الآيات، وإنْ لجأوا إلى نصِّ المعصومِ فإنَّهم لا يعتمدون عليه في تفسير تلك الآيات، فلم يربطوا بين النص السماوي ونص المعصوم بطريقة علمية مانعة للجدلِ. ولولا بعض الوقائعِ المقطوع بها لضاعت كثير من دلالات النص السماوي مثل آية المباهلة التي ارتبطت بحدثٍ كبيرٍ وقتها، فلولاه لتطوعت الأقلام المأجورة لإزاحة دلالة النص وطوعته لخدمتها، وغيَّرت مصاديق ألفاظ مثل ﴿نساءنا﴾ لتجعله كما في آية التطهير يشمل جميع نساء النبي صلى الله عليه وآله. ونحن نعلم أنَّه يقف وراء ذلك

الإرادة الموجهة للفعل. ألا ترى أنَّ الله تعالى يجعل من عملية إنذار الكافرين غير مجدية فسواء أأنذرهم النبي صلى الله عليه وآله أم لم ينذرهم لا يؤمنون؛ لأنَّ المسألة غير متعلقة بالعلمِ فينفعهم الإنذار بل تتعلق بالإرادة التي ترفض الإنذار.

ومن الموارد القرآنية التي اختصت بذكر النبي محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام آية المشكاة التي نقفُ على جانب من جوانبها وهما لفظتا «نور»، و«زجاجة» في هذا البحث محاولين أنْ نستفيد من نصِّ المعصومِ عليه السلام في تحليل هذين اللفظين.

وقد جاء البحث بتمهيد وثلاثة مباحث، تناول المبحث الأول وصف الجو العام لسورة النور في حين انقسم المبحث الثاني إلى خمسة محاور تناول الأول منها «النور» في اللغة والثاني بحث في «النور» عند المفسرين وتناول المحور الثالث فلسفة «النور» في القرآن الكريم في الوقت الذي بَيَّنَ المحورُ الرابعُ المقصودَ من المشكاةِ والزجاجةِ. ووقفَ المحورُ الخامسُ على فلسفةِ القلبِ في القرآنِ الكريمِ، وأمَّا المبحثُ الثالثُ فقد جاء بمحورين، تناولَ المحورُ الأولُ كسرَ الزجاجةِ وأثرَهُ في انطفاءِ نورِ المصباحِ، وبَيَّنَ المحورُ الثاني أنَّ طاعةَ الله تتم بالامتثالِ الكاملِ لأوامرِهِ، وخُتِمَ البحثُ بخاتمةٍ تمثلُ أهمَّ النتائجِ التي توصلَ إليها البحثُ، وثبت بالمصادر التي اعتمد عليها البحث في مادة التحليل ومن الله التوفيق.

الباحث

التمهيد: مسارات معرفية

المطلب الأول: التعريف ببعض المصطلحات ومنها:

أولاً: الرمز

حينما يدركُ منتجُ النصِّ أنَّ هناك خطراً محدقاً بما ينتجه من حقائق،

مهدداً إياها بأن يخفيها عنْ مَنْ كُتِبَتْ لهم أو يتلاعبُ بها بأنْ يحرفها أو يبعدها عن المنحى الذي أُنتجت لأجله بأنْ يجعلها تصبُّ لصالحه _ وهذا ما وقفنا عليه في كثير من الحقائق التي تلاعب بها المبطلون وحرفوها وغيروا مسارها وجعلوها تصب لصالحهم وغيروا بذلك مجرى التاريخ وحرفوا الحياة عن مسارها الصحيح _ هنا يلجأ منتجُ النصِّ إلى اتباع أساليبَ أخرى ليحافظَ على ما يبثه من حقائقَ. ولم يكن ذلك ممكناً إلا عن طريق نحت فعالية تعبيرية جديدة ستكون هي الإشارة الأولى على ميلاد تاريخ خاص بالإنسان وحده «إنه تاريخ نشأ ونما في الرمز ومن خلاله وبواسطته سينفصل الإنسان عن محيطه المباشر لينشر ذاته أو يخبأها داخل أشكال رمزية بالغة التنوع وتستوطن كل شيء في حياته»[١].

وبذلك يُعدُّ ظهورُ الرمزِ منفذاً واسعاً للإنسان يتمكن عن طريقه أن يوصل رسالته كاملة الى المتلقي من دون أنْ يصيبها أي تحريف أو تزوير أو تلاعب[٢]، وأن يُنَظَّم حقائقه في انفصالٍ تامٍ عن كلِّ ما من شأنه أن يريب أو يوقع في الشك «فكما أنَّ ابتكار الأداة أدى إلى انفصال الإنسان عن الموضوع فإنَّ الرمز قاده الى الانفصال عن الواقع»[٣].

وقد استطاع منتج النص عن طريق توظيف الرمز أن يتحدث عن أمر عظيم غائب عن الحواس مستعيناً بذلك بما ينوب عنه في الحضور[٤]، وهذا ما يميز السيميائيات من غيرها من مناهج التحليل. فالسلوك السيميائي «نتاج عوالم التجريد والتعميم والرمز، ولا يمكن أن يفهم ويستوعب ويؤول إلا بوصفه مساراً داخل عجلة تجريدية لا تتوقف عن الدوران والحركة»[٥].

والرمز في هذا المجال كما هو في المجالات الأخرى «إحالة إلى وجود مجرد تمكن من التخلص من الوجه

المادي للعالم وهو وجود شبكة في كل الاتجاهات»[٦].

وعند روبير أن السيميائيات لَمَّا كانت تعدُّ نظرية عامة للدلالة وسيرها داخل الفكر فإنَّ الوظيفة

الأساس للمحلل السيميائي تظهر في القدرة على استعمال الرموز[٧]. وتكون السيميائيات أو «السيميولوجيا» «مهيأة لأن تختبر درجات الصدق الفني في الأعمال الأدبية، وتقتبس مستويات كفاءتها الدلالية وطرائقها في الترميز والتكثيف»[٨].

يفهم من هذا أنَّ المحلل السيميائي يتعامل مع العلامة التي يوردها منتج النص على انها نتاج سيرورة ترميزية حاول منتج النص بوساطتها أن يتخلص من متربصين به يريدون تحريف كل شيء ينتجه بما يصب في مصالحهم، وبذلك ترى أن العلامات باتت تحل محل «عالم يتميز بالتنافر والتعدد والتداخل واختصرته في نماذج وبنيات عامة هي القانون الضروري»[٩] الذي عن طريقه يرد المتعدد إلى ضرب من الوحدة عن طريقه.

وسيظهر في هذا البحث كيف أنَّ القرآن الكريم استعمل الرمز في الإشارة إلى قضية كبيرة ومهمة جداً، سنقف على طرف منها في هذا البحث.

ولما كان التعبير القرآني في هذه القضية قائماً على الرمزِ فلابُدَّ من الوقوف على الشفرات التي يصل المحلل عن طريقها إلى كنه النص ويفهم المراد منه، وهذا يبين سبب بيان المراد من الشفرة.

ثانياً: التشفير

التشفير علمٌ له أثر كبير لأكثرِ من الفي عام «جرتْ العادة أنَّ الحكومات والمؤسسات العسكرية كانت بمنزلة المستخدمين الرئيسيين له»[١٠].

وقد ذكر روبرت شولز أنَّ جميع الأقوال الإنسانية «تمكنها وتحددها

أنظمة وشفرات يشترك بها كل من ينتج ويفهم الأقوال»[١١]. وتأثير علم التشفير في التاريخ مُوَثَّقٌ توثيقاً جيداً ولا شكَّ في أنَّ المرجعَ الأساس حول التشفير هو كتاب فاكُّو الشفرات لديفيد كان، نُشر للمرة الأولى في عام ١٩٦٧، وصف بأنه أول كتاب شامل يروي تاريخ الاتصالات السرية[١٢]. وقد ألَّف سايمون سينج كتاباً أكثر إيجازاً بعنوان «كتاب الشفرة»[١٣]. أما علماء الرياضيات والكمبيوتر الذين يرغبون في دراسة الجوانب الفنية للتشفير فالمرجع الرئيس في هذا المجال هو كتاب «دليل علم التشفير التطبيقي» لألفريد مينيزيس وبول فان و اور شخوت وسكوت فانستون[١٤].

والسيميائيات عند روبرت شولز هي ما تعرف بأنها دراسة الاشارات المشتقة من الجذر اليوناني «semeion» وتعني: «دراسة الشفرات أي الأنظمة التي تمكّن الكائنات البشرية من فهم بعض الاحداث أو الوحدات بوصفها علامات تحمل معنى»[١٥].

وحيث إنَّ السيميائيات تسلط جل اهتمامها بدراسة «الشفرات والاوساط فلا بد لها أن تهتم بالأيدولوجية وبالبنى الإجتماعية، الاقتصادية وبالتحليل النفسي وبالشعرية وبنظرية الخطاب»[١٦].

فالمحلل السيميائي على هذا الأساس يأخذ بالحسبان عندما يعمد إلى تحليل نصٍّ ما أنْ لا يأخذ بالظاهر، «فالظاهر ممر عابر يقود نحو مجهول لا يمكن تحديد حجمه وامتداداته بشكل مسبق. فالدلالات ليست كماً مودعاً في الاشياء والكائنات يجب الكشف عنها وتقديمها للغافلين من القراء الذين لا يمتلكون النظرية الصحيحة»[١٧]. فلا يكفي القول إنَّ «النصوص بؤرة للدلالات، فالدلالات كثيرة ومتنوعة إلا انها تتمنع ولا تسلم نفسها لأول عابر سبيل»[١٨]؛ وعلَّة ذلك أنَّ الدلالة

تكمن في « أسرار وكل سرٍّ يحيل على سر، وقد لا يكون السر الأخير سوى لحظة توهم الذات بأنها استقرت على دلالة بعينها»[١٩].

فالسيميائيات بحسبِ ما يصفها سعيد بنكراد «كشف واستكشاف لعلاقات دلالية غير مرئية من خلال التجلي المباشرة للواقعة»[٢٠]. ولسعيد بنكراد وصف آخر للسيميائيات يبين فيه أنَّ وظيفة المحلل السيميائي لا تقتصر على النظرة الأولى للنصِّ أو الاكتفاء بالدلالة السطحية للنص بل إنها «تدريب للعين على التقاط الضمني والمتواري والمتمنع، لا مجرد الاكتفاء بتسمية المناطق النصية أو التعبير عن مكونات المتن»[٢١]. وفي هذا السياق يمكن أنْ ندرج تصور أ.ج جريماس لما يعرف بالتنظيم العميق وعلاقة البنية الدلالية العميقة بالتركيب ومن ثم ببنيات التجلي إذ ينطلق جريماس من ملاحظة مفادها «أنَّ الذهن البشري ينطلق من عناصر بسيطة لكي يصل الى خلق موضوعات ثقافية ويسلك في هذا سبيلاً معقدا يواجه فيه إرغامات عليه أن يتجاوزها، واختيارات عليه أن يحدد موقعه ضمنها»[٢٢].

ومفهوم البنية العميقة الذي يعده جريماس بناء منطقياً يعدُّ أساس «النصوص التخيلية بغض النظر عن طابعها السردي؛ لذلك فإن دلالة نص أدبي يجب البحث عنها لا في الأقوال الجزئية أو في مجموع هذه الأقوال وإنما في بنية دلالية أساسية تضمن انسجام النص وتحدد تطور تركيبه ضمن بنية عاملية» [٢٣].

ويبدو أن هذا هو السبب الذي جعل المحلل السيميائي لا يكتفي باعتماد منهج معيَّن أو نظرية واحدة في تحليل النص بل يستثمر «عدَّة أنظمة سيميائية لدراسة شبكات العلاقات بين مختلف أنواع العلامات أو رصد تنقل العلامة الواحدة من مجال ثقافي

إلى آخر»[٢٤].

وقد أُصْطِلِحَ على وَسْمِ هذهِ العمليةِ التحليلية مصطلح «فيما بين السيميائيات» [٢٥] ويسميه محمد بنيس بـ «التداخل الدلائلي» إذ يقول: «ومهما اتفقنا أو اختلفنا فإن الاقرار بالتداخل الدلائلي هو البعد ذاته عن السطحية في قراءة كل معطى تاريخي، والتداخل الدلائلي بهذا المعنى هو الانفتاح على انشباك العلائق بين الأدلة ومحو كل فصلٍ بينها» [٢٦].

وهذا ما يزين التحليل السيميائي ويجعله ينماز بالمرونة في التحليل «عندما لم يُقَيَّدْ باتجاه نظري واحد يلزمه طوال تأويله إذ عمد إلى الأخذ من كل اتجاه بما يتناسب وموضوعاته السيميائية المتعددة التي تصدر في الأخير من محاولة عامة لتأويل الاشارة اللغوية بكل أبعادها السيميائية المختلفة» [٢٧].

وهذا الأمر يؤكد شمول السيميائيات واتساع مجالها «لتأويل النصوص عامة والشعرية على وجه الخصوص معتبرة إياها نصوصاً ذات شفيرات مترابطة خاصة تعكس مكونات النص وقائله» [٢٨].

وينطلق هذا الأمر من حقيقة مفادها أنه «حيث توجد نصوص توجد بالطبع قواعد تتحكم بانتاج النصوص وتأويلها» [٢٩]. وتجدر الملاحظة في هذا السياق أنه بسبب إيثار الانسانيات لدراسة النصوص فإنَّ «دراسة الشفرات التي تتحكم بانتاج النصوص وتأويلها غالباً ما تقوم بحجة أنها لا انسانية. وهذا شيء مفهوم لكنه موقفٌ أخذَ عدد المتمسكين به يتضاءل مع نمو معارفنا عن العمليات التي تتحكم بتشفير وفك شفرات النصوص» [٣٠]. فما يجب على محلل النص أن يضعه في الحسبان أن النص «لا يستطيع أن يقول كل ما يعنيه؛ لأن الصمت في بعض النقاط الحاسمة يمكّن معاني النص من

الظهور» [٣١].

وقد تبين لناقدي الأدب «أنَّ المشكلة الأساسية في اللغة الأدبية والفكر الثقافي الفني أنَّ الأديب يعمد إلى مادة مبذولة في الحياة مستهلكة ومستخدمة لوظائف الاتصال اليومي ليقيم في داخلها نظاماً فنياً جديداً يعتمد شفرة موضوعية وجمالية وتقنية مخالفة لشفرة اللغة» [٣٢]. ويرى الدكتور صلاح فضل أن جهد الباحثين أصبح يتركز في محاولة استخلاص قواعد هذا التشفير الأدبي ومعرفة كيفية تماسكه وتخالفه مع شفرة اللغة العادية للإجابة على السؤال التالي: «كيف يمكن لهذه الأدوات اليومية أن تتحول بفضل التنظيم اللغوي.... إلى أعمال فنية متماسكة ذات أبنية دلالية ووظائف جمالية وفعالية تمثيلية جديدة» [٣٣].

فالوقوف على الشفرات التي يشفرها منتج النص تمكن المحلل من الوصل بين خيوط الرمز وتأويل معناه. ومن هنا ظهرت الحاجة لمعرفة المقصود من التأويل.

ثالثاً: التأويل

الذي يبدو أنَّ لجوء منتج النص إلى الرمز في إيصال بعض الحقائق إلى المتلقي كان سبباً في ظهور التأويل الذي يصبُّ جُلَّ اهتمامه على البحث «عن المعنى القصدي الذي يخفيه المؤلف في مكان ما من نصه» [٣٤].

ويظهر أنَّ عمل المؤول هذا كان مسوغاً في أن احتضن التأويل «الاتجاهات الفلسفية والأدبية والذاتية والشخصانية والظاهرانية التي تهتم بذوات المؤلفين في محاولة لترميم المعاني الكامنة ضمناً في نصوصهم» [٣٥].

وتأويل النص هو تأويل لرسالة النص ورؤية الكاتب نفسه. فكل الأقوال التي يصدرها منتجو النصوص «تمكنها وتحددها أنظمة وشفرات يشترك بها كل من ينتج ويفهم الأقوال» [٣٦]. وهنا يبرز دور

المحلل السيميائي والقارئ النشط في قراءة الدلالات «التي يسمح بها النص بعلاماته الشكلية المختلفة وتأويلها حسب الرؤية النقدية الخاصة بها» [٣٧].

ويمكن للمحلل السيميائي أن يعتمد مناهج عدة في تأويل النص وتحليله. ولعلَّ من أهم هذه المناهج اعتماد المنهج الذي اعتمده شارل بورس حينما أطلق على السيميائيات مصطلح «semiotic» السيموطيقا، وقرر عندها أنَّ السيميوطيقا هي نظرية شكلية للعلامات ويعني بها ترصد طبيعة العلامات. والسيموطيقا على هذا الأساس «هي العلم الذي يدرس الدلائل اللسانية وغير اللسانية» [٣٨].

وقد أكد بورس أنه ما كان بوسعه أن يدرِّسَ أي شيء من الرياضيات والأخلاق والفلك والميتافيزيقا والجاذبية وعلم الأصوات وتاريخ العلوم...الخ إلا بوصفه دراسة سيموطيقية[٣٩].

والسيموطيقا البورسية سيموطيقا للدلالة والتواصل والتمثيل في آن واحد؛ «لما تحمل من خصائص اجتماعية ودلالية تعتمد على ثلاثة أبعاد: دلالية وتداولية وتركيبية» [٤٠].

والسبب في ذلك يعود إلى أن الدليل البورسي دليل ثلاثي يتكون من «الممثل / الدليل بوصفه دليلاً في البعد الأول، ومن موضوع الدليل «المعنى» في الثاني ومن «المؤول» الذي يفسر كيفية إحالة الدليل على موضوعه انطلاقاً من قواعد الدلالة فيه في البعد الثالث» [٤١].

ونظرية بورس قدمت للمشتغلين في حقل السيميائيات «اسهاماً فعلياً في قراءة النصوص وتأويلها وإدراك ما أمامها وما خلفها، فلا يكفي القول إن النصوص بؤرة للدلالات، فالدلالات كثيرة ومتنوعة إلا أنها تتمنع ولا تسلم نفسها لأول عابر سبيل. وإن الدلالة أسرار وكل

سر يحيل على سر، وقد لا يكون السر الأخير سوى لحظة توهم الذات بأنها استقرت على دلالة بعينها» [٤٢].

من هنا صار يطلق على المعلومات المراد إخفاؤها اسم «النص الأصيل» فيما يطلق على عملية إخفائها اسم «التشفير». ويطلق على النص الأصيل المشفر اسم «النص المشفر» أو «بيان التشفير» كما يطلق على مجموعة القواعد المستخدمة في تشفير معلومات النص الأصيل «خوازمية التشفير». عادة ما تعتمد هذه الخوازمية على «مفتاح التشفير». وحتى يتمكن المتلقي من استرجاع الرسالة من خلال النص المشفر يجب أن تتوافر «خوازمية فك التشفير» التي عند استخدامها مع «مفتاح فك التشفير» المناسب تسترجع النص الأصيل من النص المشفر [٤٣].

بعد أن وقفنا على معنى الرمز والشفرة التي تفك الرمز، وطريقة تأويل الرمز وبيان دلالاته بقي علينا أن نرى هل هناك شخصية رمزية في آية المشكاة التي جعلنا منها محل بحثنا؟؟؟!.

المطلب الثاني: الشخصية الرمزية في آية المشكاة

تتمحور آية المشكاة حول بعض الشخصيات التي كان لها ثقلها في الدعوة إلى الله تعالى، ومن هذه الشخصيات السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام التي نحاول أنْ نكشفَ عن خيطٍ رفيعٍ من إشعاعات نورها في هذه الوريقات، إذ أننا ندرك جيدا الدور المهمم والرئيس الذي مارسته الصديقة الطاهرة عليها السلام في حياة الرسالة المحمدية. ولعل قضيتنا الكبرى _قضية الولاية_ تتمحور بمقدار كبير حولها، فلكي نفهم سر هذا العداء لهذه المظلومة يجب علينا أولاً أنْ نفهمَ أهمية موقعها ودورها من مسرح الأحداث المكتظة بالملابسات، ولأننا لا نثق بالتاريخ الذي طالته أقلام

التحريف والتخريب؛ لذا سنلجأ الى الكتاب المحفوظ، فهو سيخبرنا بسرٍّ خطيرٍ من أسرارِ البتول الطاهرة عليها السلام.

ونحن نعلم أنَّ النصوصَ ما هي إلا لغة، وأدوات اللغة المطروحة قديمًا وحديثًا هي أدوات منهج النظرية اللغوية التي تتخذ من الجملة مداراً للبحث، وهو منهج لم يعد يلبي طموح الباحثين. وقد آن الآوان لتجديد هذا المنهج للغوص إلى عمق أبعد من أعماق النص المعجز. ونحن على خط الزمن نقول ما قاله أئمتنا من أنَّهم القيمون على الكتاب، وهم حفظته، والعالمون به والعاملون، وخزنة أسراره.

فإذا كانوا هم على هذه الدرجة من التلاسق مع النص السماوي أليس يجدر بهم أنْ يكونَ ذكرهم والإشارة إليهم من أهم الموضوعات التي يردُ ذكرها في القرآن؟! بمعنى إذا كان غايةُ الخلق هو مشروع الاستخلاف، وأنَّ الكتابَ هو دستور هذا المشروع والخارطة القانونية والأخلاقية المؤدية إليه، وإنهم صلوات الله عليهم يمثلون حقيقة هذا المشروع ورموزه ومصداقه، أفلا يجب أنْ يكونَ ذكرهم أهمَّ ما ورد فيه- الكتاب- وأنْ يكونوا صلبَ القضيةِ ومحورَها؟؛ لذا نجدُ كثيراً من الموارِدِ القرآنيةِ نازلةً فيهم بحسبِ قولهم، ولكن كيف؟ لم يفصلوا لنا ذلك، ولم يُبَيِّن لنا المفسرون الأجلَّاء ذلك أيضًا.

وإنَّ هذه الطريقة في فهم النصوص تبيح للآخر أنْ يرمينا بالذاتية والابتعاد عن الموضوعية في البحث؛ ذلك أننا حين نتعرض لأحد النصوص ونقول إنَّها في أهل البيت عليهم السلام من دون أنْ نقدم البرهان الناصع ضمن منهج علمي فإنَّ الآخر سيتهمنا بالرجم بالغيب تارة، وبلوي عنق النص وجرَّه إلى مبتغانا تارة أخرى.

لا يمكننا في أي حال من الأحوال أنْ نفصل بين المشكلة اللغوية والمحنة التاريخية؛ ذلك أنَّ النصَّ السماوي هو عرضة للتآمر كقرينه المعصوم، وما يصيب الأول يصيب الثاني على الصعيد نفسِهِ والشدة نفسِها. ولكي يتم المشروع بالاستحواذ على الأمر والتحكم بخيوط اللعبة فعليهم أولاً تغييب المفاتيح وحامليها. فخطرُ المفتاحِ نفسِهِ لا يقلُّ عن خطرِ حاملِهِ؛ لذا اجتهدوا بإحكام عملية التصفية، فالغاية كانت سرقة المشروع الإلهي بالاستخلاف ويتم ذلك بمرحلتين:

الأولى: وفيها يجب عزل الشخوص المنتخبة لتحقيق هذا الاستخلاف، والإحاطة بها، والتعتيم عليها، بل وتشويه صورتها حتى إن استلزم ذلك قطع الرؤوس واستباحة المحارم _ وهذا ما حصل فعلا _.

والثانية: وفيها يَتِمُّ تغييب كلِّ الوثائقِ التي تُدِينُهُم، وتصفية كلِّ الشهودِ وإزالةِ كلِّ الأدلَّةِ من مسرحِ الجريمةِ.

ولكي يُظْهِرَ اللهُ نورَه ويُتِمَّه فإنَّه سيعمدُ الى إرسالِ رسالةٍ مشفرةٍ تستمرُّ مع الزمنِ، يفهمُها كلُّ أنسانٍ بما يشاءُ اللهُ سبحانه، تلك الرسائل السرية هي بين أسطر الكتاب المقدس لضمان حفظها وضمان سلامتها من التلاعبِ، فنحن شهدنا ما فعله القوم بورثة الكتاب عَلَنَاً من قتلٍ وسجنٍ وسبيٍ. فهل يتورعون عن تحريف كلام الله سبحانه من بعد مواضعه لو تمكنوا من ذلك؟!

مَنْ يحرقُ الكتابَ والسنةَ، ويرمي البيتَ الحرامَ بالمنجنيقِ، ويبيحُ مدينةَ الرسولِ صلى الله عليه وآله ثلاثة أيامٍ، ويدسُّ السمَّ للامتداد الطبيعي للرسالة وسبطِ النبي صلى الله عليه وآله، ويقطع رأس سبطه الآخر ويسبي نساءه هل يتورع عن التلاعبِ بالكتابِ ولاسيَّما أنَّ حركةَ التدوينِ

كانتْ في مهدِها ؟!

ولَمَّا تعهدَ اللهُ سبحانه بحفظِ الكتابِ من التحريفِ والتلاعبِ فإنَّهم عمدوا إلى إسلوبٍ جديدٍ لتحقيقِ غايتِهم في تضييعِ الحقائقِ التي يحملها الكتابُ. ولم يجدوا إلا أدوات اللغة منفذا رحبا يلجأون إليه لحلِّ العُقَدِ الرابطة بين تلك الرسائلِ المشفرةِ؛ لذا وجدنا أنَّه من اللازم علينا أن نعتمدَ منهجيةً جديدةً في محاولةٍ جادةٍ لفكِّ رموزِ بعضِ تلك الرسائلِ.

إنَّ النصَّ المعصومَ يقدم لنا مفاتيحَ لتلك الرسائلِ، لكن يجب علينا أولاً أنْ نفرغ أحكامنا المسبقة المبنية على تلك المناهج وأن نتوجه إلى النصِّ بقلبٍ وعقلٍ مُخْلصينِ.

ولعلَّ مفهومَ التدبرِ الذي أسس له أميرُ المؤمنين عليه السلام يمثل منهجا موثوقا للتعامل مع القرآن الكريم.

فالتدبرُ معناه أنْ تلاحقَ النصَّ. وهذا يستلزم أنْ تكونَ خلفَه لا أمامَه، وأنْ تتبعَ خطواتِهِ لا أن تجرَهُ خلفك عنوةً، وهذا ليس فقط على مستوى الأفكار بل على مستوى الألفاظ، فلكي نتمعن أكثر في تفاصيلِ النصِّ سنحاول معرفة أسلوبه باستعمال الألفاظ. ومعرفةِ كيف وَظَّفَ الأئمةُ عليهم السلام ألفاظَ القرآنِ الكريم للإشارةِ إلى الدلالاتِ نفسِها التي كان يشير إليها.

ولكي يكونَ طرحُنا واضحًا فإننا سنقدم آية المشكاة الواردة في سورة النور أنموذجا للتحليل، وسنبين مدى الارتباط بين النصِّ السماوي والنصِّ المعصوم.وهذا ما ستبينه المباحث الآتية:

المبحث الأول: الجو العام لسورة النور

تتمحور سورةُ النورِ حولَ موضوعٍ اجتماعي له أبعاده المجتمعية المهمة، وهو موضوع النكاح وأحكامه وما يتعلق به، وكيفية ضبطه والحدود

التي يجب إقامتها على الخارجين عن ضوابطه، وتنظيم الحياة الاجتماعية للجنسين[٤٤]. ولكن ما علاقة هذا الموضوع بنصِّ الآية مدار البحث؟! وكيف تندرج ضمن سياق السورة؟ حيث إننا نقول إنَّ لكل سورة وحدة موضوعية تحكمها، ولعل هذا ما حدا ببعضهم للشك في ترتيب آيات الكتاب بحسب الموضوع، وهذا ما نلمسه عند بعض المفسرين حين يتعرضون لآيات مثل آية إكمال الدين وإتمام النعمة التي تجدها في سياق آية تحريم الميتة ولحم الخنزير.

وعلل بعضُ المفسرين ذلك بأن هذا الترتيب مقصود لغاية حفظ النص من التلاعب، ولكن هل تجد آية المشكاة محتاجة فعلا لهذا التمويه والسرية أم أنَّ لها صلة حقيقية بالموضوع؟؟؟؟!

بعد آيات عدة قدمتها السورة عن أحكام الزاني بَيَّنَتْ فيها الحكم الشرعي للزاني والزانية، انتقلت الى بعض المفاهيم النفسية المجتمعية من أن الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة، وأن الطيبين للطيبات. وبغض النظر عن إنَّ هذه التقريرات هي أحكام تشريع أو أحكام تكوين فإنَّ النص يخرج بنا الى حادثة الإفك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ النور من الآية ١١. وحادثة الإفك متصلة اتصالا مباشرا بهذا الموضوع. ومفهوم الإفك، وسبب نزول النص به مرتبط ارتباطاً وثيقاً بشخص النبي صلوات الله عليه وآله[٤٥]، فلقد قلنا سابقا إنَّ مشكلة النص هي مشكلة تاريخية بقدر ما هي مشكلة لغوية، فإنَّ من جاء بالإفك هم عصبة منكم كما يُصَرِّحُ النصُّ، وقد بَيَّنَتْ لنا المصادر المعتبرة أهم شخوص هذا المشهد، وهذه الشخوص قد نهاهم النص في السورة نفسها عن اتباع خطوات «الشيطان» في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ النور

من الآية ٢١، ونضع «الشيطان» بين قوسين؛ لأنَّه مُعرَّف بـ «ال» التعريف، فإنه بحسب ما يؤكد النص المعصوم شخصٌ محددٌ هو رأس الفتنة، وما يهمنا من الأمر أنَّ هذه الحادثة متصلة بشخص النبي الكريم صلى الله عليه وآله، وحادثة الإفك لها علاقة بالسورة المباركة من حيث إنَّها تتعلق بقذف المحصنات التي بَيَّنتْ الآيات اللاحقة أحكامه ونهت عنه، ثم تعود السورة لتتمة الحديث عن قضايا النكاح وأحكامه، لكنها تربطها بموضوع دخول البيوت، هذا ليصل إلى بيوت محددة أذن لله سبحانه أن ترفع ويذكر فيها اسمه قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ النور:٣٦، ثم تُفصِّل الآياتُ الصفاتِ التي وصفَ بها القرآنُ الكريمُ أصحابَ تلك البيوتِ مِنْ أنَّهم لا تلهيهم عن الله سبحانه تجارةٌ أو لهوٌ، قال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾النور:٣٧، وهذا يُخرج عدداً من الشخوص المزامنة لوقت النزول، فهؤلاء لا تشملهم هذه الآيات.

إنَّ آية المشكاة هي بالضبط في هذه البيوت كما نَصَّتْ الآية التي تلت آية المشكاة مباشرة وهي قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ النور ٣٦، وهذا يجعلنا نُرَجِّح أنَّ هذه الآية هي تمثيلٌ لشخوصِ تلك البيوت التي نهى اللهُ الناسَ أنْ يدخولها دون استئذان. ونجد مثل هذا النهي في مواضع عدة ينهاهم- الذين آمنوا- عن مناداة النبي صلى لله عليه وآله من وراء الحجرات، وإذا كانت لهم حاجة من أحد بيوته فليتكلموا من وراء حجاب، وأن لا يجهروا للرسول صلى لله عليه وآله كجهر بعضهم لبعض وأن

لا ينصرفوا عنه إلا بإذنه قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾الحجرات: ٢.

هذه التعليمات بقدر ما تكشف عن علو مكانة النبي صلى الله عليه وآله فإنها تكشف وبالقدر نفسه عن همجية الذين كانوا حول النبي صلى الله عليه وآله وتأخرهم ذوقيا.

إذاً ما الذي جاء بالمثل المضروب لنور الله سبحانه في وسط كل هذا؟؟؟؟!!

هذا يحتمُ علينا أنْ نؤمن أنَّ هذا المثل هو لتلك البيوت التي طهَّرَها اللهُ سبحانه، وعناصر ذلك المثل تتمحور حول شخوص أهل تلك البيوت.

إنَّ هذا محتمل جدا، فهل سنجد في المأثور ما يؤيد هذا الفرض؟ لنستنطق النصَّ علنا نجدُ جواباً لهذا الاستفهام.

المبحث الثاني: الزهراء عليها السلام هي الزجاجة

بين أيدينا رسالة رمزية مشفرة تتحدث عن الخيوط الأولى لمحاولات التغيير، وعن أهم شخوصها المستهدفين بالتصفية، وهي آية المشكاة.

للوهلة الأولى قد يظن المتلقي أنَّ البحثَ لم يقدم جديدًا، فالكتب المعتبرة زاخرة بالحديث عن آية المشكاة من أنَّها مثل مضروب للنبي«صلى الله عليه وآله» وأهل بيته عليهم السلام.

نعم وهذا ما قد بَيَنَّاه في أول الأمر. نحن نقرُّ بأنَّها مَثَلٌ لهم، ولكن كيف؟ لنعرض النص السماوي أولاً، قال تعالى: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ

اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ « النور / ٣٥».

ربما يجدر بنا الإشارة الى أنَّ النور هو ليس الضوء المعكوس عن الأجسام بهذا المعنى الحرفي بحسب ما هو متعارف، فإنَّ هذا الفهم هو ما جعلنا نلجأ الى أساليب تفكيكية للنص القرآني مثل المجاز والكناية والاستعارة وغيرها حين تواجهنا مثل آية المشكاة، لكن منهجية التدبر تغنينا عن كل هذا وتمنحنا صورة عالية الدقة عن الاستعمال القرآني للألفاظ عن طريق ملاحظة المصاحبات؛ لذا توجب علينا أولا تقديم تفسير للمركب ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. وذلك على وفق المحاور الآتية:

المحور الأول: الدلالة المعجمية للفظة «نور» عند اللغويين

ذهب بعضُ اللغويين إلى أنَّ لفظة «النور» تعني «الضياء» [٤٦]، والفعل «نَارَ، وأنارَ نوراً وإنارة أي: أضاء» [٤٧]، والمنارة: مَفْعَلة من الإنارة، التي يوضع عليها السراج؛ وذلك أنَّهم كانوا

يُنَوِّرون في الجاهلية لِيُهْتَدَى إليهم[٤٨]، والمنار: العَلَم يُجْعَلُ في الطريق[٤٩].

وذهب الزمخشري إلى أن للفظة «نور» استعمالاً مجازياً تدلُّ فيه هذه اللفظة على دلالة أخرى غير الإضاءة إذ قال: « ومن المجاز: نَوَّرَ الأمرَ: بَيَّنَه، وهذا أنورُ من ذاك: أبْيَنُ» [٥٠].

يبدو أنَّ اللغويين لم يستقرؤا كلَّ ما ورد في القرآن الكريم من استعمال للفظة «النور» حينما قرروا أنَّها تعني «الضياء»، وأنَّ الفعل «أنار» يعني: «أضاء»، ومِنْ ثَمَّ فإنَّ إنعام النظر في موارد ذكر لفظة «النور» في القرآن الكريم قد يُظهرُ دِلالة أخرى لهذه اللفظة تكون أوسع دلالة وأكثر استيعابا للمعنى من لفظة «أضاء»، ولا سيَّما أن لفظة «أضاء»

قد استُعملت هي الأخرى في موارد كثيرة في النص القرآني، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾ البقرة من الآية:٢٠، فقال: أضاء ولم يقل: أنار، ولو استُبْدِلت لفظة «أضاء» بـ «أنار» لاختلفت دلالة النص كما سيظهر في هذا البحث، ومثلها أيضا قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ﴾ البقرة من الآية ١٧، فلو كانت لفظة «أنارت» ترادف «أضاءت» لاقتضى ذلك أن يكون النص القرآني هكذا: « استوقد نار فلمّا أنارت»، وبما أنَّ القرآن استعمل «أضاءت» فهذا يدلُ على المغايرة بين دلالة اللفظتين، فالقرآن الكريم إذا كان قاصدا معنى الإضاءة يستعمل الفعل «يضيء» من ذلك قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ النور من الآية٣٥، وخير دليل على تغاير الدلالة بين اللفظتين إيرادهما في آية واحدة بدلالتين مختلفتين وذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ يونس من الآية ٥. ولو كانت لفظة «نور» ترادف لفظة «ضياء» لاكتفى القرآن الكريم باستعمال إحدى اللفظتين فقط كأن يقول: «هو الذي جعل الشمس والقمر نورا» أو «هو الذي جعل الشمس والقمر ضياءً» فلما غاير القرآن الكريم فاستعمل «النور» مع القمر، و«الضياء» مع الشمس دلَّ هذا على المغايرة بين دلالة اللفظتين، ومن ثَمَّ فإنَّ لفظة «نور» تعطي دلالة أخرى قد تكون أوسع من دلالة لفظة «ضياء» ومباحث هذا البحث ومحاوره ستميط اللثام عن هذا الأمر والله أعلم.

المحور الثاني: معنى النور عند المفسرين

يحاول هذا المحور أنْ يجد حلاً لهذا التساؤل، وهو: كيف يكون اللهُ نورًا للسموات والأرض؟! ألا يتعارض هذا وبشكل واضح مع كلِّ ما سلمنا به من مجهوليتنا بالله تعالى؟

إذا كان النور هو «انعكاس لضوءٍ ما عن الأجسام فهذا يعني أنَّ هناك ضوءًا لا نعرف مصدره، وهناك جسم عاكس «السماوات والأرض» وإنَّ الضوء المعكوس عن الأجسام هو النور وهو بالتالي «الله»» [٥١]. إنَّ هذا الكلام من التهافت مما لا داعي للإسهاب ببطلانه.

وكما اختلف اللغويون في تحديد دلالة «النور» فقد اختلف المفسرون في بيان المراد من لفظة «نور» الواردة في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ النور من الآية٣٥.، وكانتْ نتيجة هذا الاختلاف أنْ كثرتْ الآراء في تفسير هذه الآية وبيان المراد من لفظة «نور»، فذهب مقاتل بن سليمان البلخي «ت ١٥٠ه» إلى أن المراد من قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: «هادي أهل السماوات والأرض»[٥٢]، ووافقه على هذا الرأي طائفة من مفسري الفريقين[٥٣].

وعلى هذا القول فإنَّ لفظة ﴿نور﴾ هنا صارت بمعنى «هادي»، و﴿السماوات﴾ صارت بمعنى أهل السماوات، فبدلاً من أن تكون الآية ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ صارت تعني: الله هادي أهل السماوات والأرض. وقد عزز الطبري «ت ٣١٠ه» هذا الرأي بقوله: «... فهم- أهل السماوات والأرض- بنوره إلى الحق يهتدون، وبهداه من حيرة الضلالة يعتصمون» [٥٤]. وحاول البغوي «ت ٥١٦ه» أن يجد تفسيرا آخر يحافظ على دلالة لفظة ﴿نور﴾ بحيث تكون مختصة بالسماوات وليس بأهل السماوات فرأى أنَّ «﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: منور السماوات والأرض» [٥٥]. معنى ذلك أنَّ ﴿نور﴾ عند البغوي تعني «مُنَوِّر»!!!!

ولَّما ذكر ابن عطية الأندلسي «ت٥٤٦ه» أنَّ «النور في كلام العرب

الأضواء المدركة بالبصر» [٥٦] اصطدم بإشكال آخر وهو أنَّ الله لا تدركه الأبصار؛ لذا لجأ إلى القول بالحذف ظناً منه أنه سيجد فيه حلاً لهذا الإشكال، وذلك في قوله: «والله تعالى ليس كمثله شيء فَبَيَّنَ أَنَّه ليس كالأضواء المدركة» [٥٧]؛ لذا قرر سريعاً أنَّ هناك محذوفا في الآية، إذ قال: «لم يبق للآية إلا أنه أراد «الله» ذو «نور السماوات والأرض» أي: بقدرته أنارت أضواؤها واستقامت أمورها..» [٥٨] متناسياً أنَّ الله تعالى لو أراد المعنى الذي ذهب إليه لقال: «الله ذو نور السماوات والأرض». وقد صرَّح أبو حيان الأندلسي «ت٧٤٥ه» بكون هذه الآية ليست على الحقيقة بقوله: «فاسناده- النور- إلى الله تعالى مجاز» [٥٩]. فالقرآن الكريم يقول: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وابن عطية وأبو حيان يقولان: ليس المراد الله نور السماوات والأرض على الحقيقة بل ذو نور السماوات والأرض. وشتان بين القرآن ورأيهم.

وحاول ابن الجوزي «ت٥٩٧ه» أن يجدَ حلاً لهذه المعضلة فجاء برأي لا يقل غرابة عن الآراء السالفة، إذ ذكر في تفسير قوله تعالى «﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾... مدبر السماوات والأرض» [٦٠]، فصارت لفظة ﴿نور﴾ في هذه الآية تعني «مدبر» فأكرم به وأنعم من رأي.

وغاية ما يصل إليه القرطبي«ت٦٧١ه» هو أنَّه استعمال مجازي يجوز في حقه تعالى «فَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: للهَّ تَعَالَى نُورٌ مِنْ جِهَةِ الْمَدْحِ لِأَنَّهُ أَوْجَدَ الْأَشْيَاءَ وَنُورُ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ مِنْهُ ابْتِدَاؤُهَا وَعَنْهُ صُدُورُهَا وَهُوَ سُبْحَانَهُ لَيْسَ مِنَ الْأَضْوَاءِ الْمُدْرَكَةِ» [٦١]، لكن النص لا يقول إنَّه خالق النور بل يقول إنَّهُ هو نور السموات والأرض!!.

ولصاحب الميزان قول حسن في هذا الموضوع ولكن فيه كلام، فيقول: «وقد بَيَّنَ سبحانه هذه الحقيقة بأنَّ له

تعالى نورًا عاما تستنير به السماوات والأرض فتظهر به في الوجود بعد ما لم تكن ظاهرة فيه، فمن البيِّنِ أنَّ ظهور شيء بشيء يستدعي كون المظهر ظاهرا بنفسه والظاهر بذاته المظهر لغيره هو النور فهو تعالى نور يظهر السماوات والأرض بإشراقه عليها كما أن الأنوار الحسية تظهر الأجسام...»[٦٢] فهو يقول إنَّ له تعالى نوراً، في حين النص يقول إنَّ الله هو النور وليس له نورٌ، ثم إنَّه يقول المظهر ظاهر بنفسه فهل تجد الضوء ظاهرًا بنفسه؟! إنَّه لا صورة له ولا صوت ولا طعم ولا رائحة ولا ملمس فكيف إذاً يكون ظاهرًا؟ إنَّما يظهر بأثره وهذا يعني أنَّ ظهوره مرتبط بالأشياء المنعكس عنها، فظهوره قائمٌ بها ومتأخر عنها، فهو لكي يظهر يجب أنْ يظهر لشيء ما، فإذا لم يكن هناك شيء فليس هناك ظهور. ثم ماذا يعني أنَّه تعالى يظهر السماوات والأرض بإشراقه عليها؟؟، فهل هذا يعني أنَّها كانت موجودة ولكن في ظلام؟؟ ولكننا نعرف أنَّ السماوات فيها النجوم المضيئة، ولمن تظهر؟ لنفسها؟ فهل كانت غير ظاهرة لنفسها؟ هذا يعني أنَّها لم تكن موجودة. أم ظهرت له تعالى؟!!. وهل هذا يعني أنَّه تعالى يصدر منه ضوء فيشرق به على السماوات والأرض؟ لا أظن أنَّه يعني ذلك حرفيا بل انه يستعين بالمجاز، ذلك أنَّه يبني على تأسيس الشيرازي في الوجود، فيجعل الأشياء كائنة في علم الله الأزلي وأنَّ عملية إيجادها للعيان هي عملية اشراقية، فيفيض الله عليها من وجوده فتوجد وبذلك فإنها تتضح وتنكشف. وهذه العملية هي عملية التنوير[٦٣]. وهذا يعني أنَّ عملية التنوير عنده هي عملية الخلق ذاتها، وبذلك يكون معنى التركيب ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ولكن النص لا يتحدث عن خلق السماوات والأرض أبدًا. فإذا كان الأمر أنَّ

عملية التنوير هي الخلق ذاتها فكيف تُخَرِّج قوله ﴿مثل نوره﴾ فإذا كان ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ تعني «خلق السماوات والأرض» فهل هذا يعني أنَّ مركب ﴿مثل نوره﴾ يعني «مثل خلقه»؟.

وهنا يطرح البحث تساؤلاً عن كيفية حل هذا الإشكال، ويمكن القول إنَّ المحور الثالث وما يليه من المحاور ربما فيها شيء من الحلِّ لهذا التساؤل ولو من بعيد.

المحور الثالث: فلسفة النور في القرآن الكريم

لو تدبرنا لفظ «النور» في كتاب الله لنجد أنَّ القرآن الكريم يميز بين الكتاب والنور فيقول ﴿قَدْ جَاءَكُم مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ «المائدة:١٥» حيث إنَّ واو العطف تفيد المغايرة. فهل النور خارج الكتاب؟ لكنه يجعله في الكتب السماوية السابقة، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ «المائدة: ٤٤»، وقوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ «المائدة: ٤٦».

ويجعل النور مرتبطاً بالشخوص أيضًا، قال تعالى: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ «الحديد: ١٣» وكما أنَّ للنبي نورا فإن للمؤمنين نورا أيضًا قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم﴾ «الحديد: ١٢» ولكن السعي هي حركة مقصودة ناتجة عن عاقل، ولو تدبرتها هي الأخرى لوجدتها تقترن مع الأحياء. فهل أنَّ نور المؤمنين شيء في داخلهم؟ فكيف إذاً يسعى بين أيديهم؟ إذاً هو خارجهم وأمامهم يسعى وهم خلفه، ويجب عليهم اتباعه وهذا ما أكده قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الأعراف من الآية ١٥٧، يظهر من هذا

أنَّ النور هو شخص عاقل، وهو قرين الكتاب في التنزيل. ونخرج إلى أن الله سبحانه نور، وهناك شخص منزل مع الكتاب هو نور أيضًا. ولكن إلى الآن لم نفهم كيف أنَّ اللهَ نورٌ، وكيف أنَّ النورَ شخصٌ ويجب اتباعه، وكيف أنَّ النورَ غيرُ الكتابِ، وفي الوقت نفسه هو في الكتب السماوية السابقة، وهنا يجب أنْ نتعرف على المعنى الأصيل للمفردة عن طريق المعنى العام لها وأهم ما يميزها. ولماذا يسمى الضوء بعد انعكاسه عن الأجسام نورا؟ هل «لتغييرٍ طرأ عليه في تكوينه مما استلزم تغيير اسمه؟ فليس من المنطق أنْ نغير اسمه لمجرد أنَّه ارتدَّ عن جسم» [٦٤]. وعليه يجبُ أنْ يكون هناك رابطٌ حقيقيٌ بين لفظ الضوء وذات الضوء، ويجبُ أنْ يكون هناك تغييرٌ على مستوى التكوين أو الوظيفة في الضوء بعد انعكاسه عن الأجسام استلزم معه تغييرا في الاسم[٦٥].

ترى لو أنَّك «رصدتَ النورَ في الفضاءِ دون علمك أنَّه معكوس عن جسم أستسميه نورًا أم ضوءًا؟ إنَّه ضوء، دائمًا وأبدًا، فهو فوتونات متدفقة بموجتين متعامدتين ولن يغير انعكاسه عن الأجسام أي تغير في هذه الحقيقة»[٦٦]. وقد اكتشف البرت أينشتاين أن «طاقة الفوتون تعتمد على طولها الموجي أو ترددها. ففوتون الضوء البنفسجي له طاقة أعلى من فوتون الضوء الأحمر؛ لأن الضوء البنفسجي له تردد أعلى _ او طول موجي اقصر ¬_ مما للضوء الاحمر»[٦٧]. ومن ثَمَّ فحين انعكس الضوء عن الجسم فقد حمل معه صورة الجسم إلى العين، وهذا ما يحصل في آلية الإبصار.

إذًا فالضوء هو الكاشف عن وجود الأشياء وعن ماهياتها، وهذه الوظيفة هي التي أكسبته اسم «نور». فالضوء إذا لم يمارس وظيفة الكشف لن نطلقَ عليه لفظ النور، ولكن بعد

أنْ يكشف عن وجودِ الأشياءِ وماهيتها صار نورًا حيث حمل معه صورة الشيء إلى العين[٦٨].

نخلص من ذلك أن «النور» هو الذي يكشف عن حقيقة الشيء. ومن ثَمَّ فإنَّ «النور» هو الذي يكشف عن وجود السماوات والأرض وماهيتها باختلاف الآلية، فإنَّه لا يحمل الصور معه إلى العين كما في الضوء، فليس ذلك شرطاً ملزماً، إنَّما اللازمة هو الكشف، فإنَّ أي شيء يقوم بالكشف عن شيء آخر مهما كانت الآلية المتبعة فهو نور[٦٩]؛ لذلك فإنَّ في الكتب السماوية نورا؛ لأن فيها كشفا عن القوانين والتشريعات، وعن أخبار الماضي وأخبار المستقبل. وكذلك يقال: العلمُ نورٌ؛ لأنَّه يكشف عن حقائق الأشياء.

ولما كان اللهُ سبحانه منزهاً عن الاختلاط بخلقه فلا هو جسم ولا يحدُّه زمانٌ ولا مكانٌ؛ لذلك جعل بينه وبين خلقه واسطة ليبينوا للناس كيفية خَلْق السماوات والأرض، فهذا يعني أنَّ المقصودَ من «النور» الذي عَرَّفَ بين المخلوقات بعضها ببعض بمختلف الآليات هو هذه الواسطة، وعليه فالنور هو: «الكاشف أو ألة المعرفة».

فخلقَ اللهُ الخلقَ وكان ظلام الجهل يطبق عليها، ولما عَرَّفَ اللهُ بينهم بواسطة هذه الواسطة، وأوجد بعضها لبعض وتمت المعرفة كان الواسطة هو المُعرِّفُ والكاشفُ فهو النور.

وفقا لهذا الفهم يمكننا فهم قول الإمام، وذلك فيما رُوِيَ عن« محمد بن يعقوب: عن علي بن محمد، عن سهل بن زياد، عن يعقوب بن يزيد، عن العباس بن هلال، أنه قال: سألت الرضا «عليه السلام» عن قول الله عز وجل: اللهُ نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ، فقال: «هاد لأهل السماوات، وهاد لأهل الأرض»[٧٠] فهو ليس مجازا كما ظن المفسرون، بل استعمال حقيقي.

وهنا يتساءل البحثُ مَنْ هو نور الله؟! وكيف يبين لنا الأشياء ويكشف الحقائق؟ وكيف نتبعه؟ يمكن أن نجد الإجابة عن هذه التساؤلات مزبورة في المحور الرابع من هذا المبحث.

المحور الرابع: المشكاة والمصباح

تساءلنا في المحور الثالث عن هوية مَنْ يُمَثِّلُ نورَ لله سبحانه، وهو تساؤل مهم جدا. فالآية تُصرِّح بأنَّ لله نورًا و﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ «النور من الآية٣٥»، والهاء هنا ضمير يعود إلى لله سبحانه، ولمَّا كان اللهُ سبحانه مجهولاً تمامًا ولكن له معرفة «سماها عالم العلم بالمجهولية» وآلية هذه المعرفة هو نور الله، وهذا النور محال المعرفة حق المعرفة أيضًا ولكنَّ له مثلاً، ومثل هذا النور هو ﴿كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ ولقد أورد أحدُ الباحثِينَ بياناً مفصلاً عن عناصر هذا المثل المرتبط بمَنْ عَرَفَ اللهَ سبحانه حقَّ معرفته[٧١] كما صرَّحَ بذلك الحديثُ الشريفُ عن الرسولِ «صلى الله عليه وآله» في قوله: «يا عليُّ لا يعرف اللهَ حقَّ معرفته الا أنا وأنت...»[٧٢]. ويُبَين لنا الإمام عليه السلام أنَّ المثل هو لهم وذلك فيما «روى ابن بابويه أيضا مرسلا: عن الصادق «عليه السلا» أنه سُئِل عن قول الله عز وجل: اللهُ نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ، فقال: «هو مثل ضربه الله عز وجل لنا»[٧٣] فلقد بَيَّنَ الباحثُ أنَّ الارتباط اللفظي أو ما سماه «الاقتران اللفظي» بين النور والكلمات وشيجا، ولكنه أوضح أيضًا أنَّ الكلمات هي مخلوقات مُشَخَّصَة؛ لذلك قال عن نبي الله عيسى عليه السلام أنَّه كلمته قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ «آل عمران من الآية ٤٥»، وهذا يتناسب مع النص المعصوم من أنَّ نور الله سبحانه هم شخوص أو مخلوقات، وآية المشكاة

تضرب مثلا لهذه الشخوص. وإنَّ النورَ الذي يسعى في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ﴾ الحديد من الآية ١٢ هو شخصٌ يقوم بعمليةِ كشفٍ كبرى؛ فلذلك هو نور وهو ما يجب اتباعه كما في قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾ الأعراف من الآية ١٥٧. وهذا النور هو أول ما خلقه الله سبحانه من ذلك ما روي عن جابر بن عبد الله قال: قلتُ لرسول الله صلى الله عليه وآله: أولُّ شيءٍ خلقَ اللهُ تعالى ما هو؟ فقال: نور نبيك يا جابرُ، خلقه اللهُ ثمَّ خلقَ منه كلَّ خيرٍ» (٧٤). فهذا الحديث يؤكد أن المراد من النور هو الرسول صلى الله عليه وآله وفي أحاديثَ آخرَ يظهر أن المراد من النور هو الأئمة عليهم السلام، من ذلك أيضاً ما روي عَنْ أَبِي خَالِدٍ الْكَابُلِيِّ قَالَ: «سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللهَّ عَزَّ وَ جَلَّ- ﴿فَآمِنُوا بِاللهَّ وَ رَسُولِهِ وَ النُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنا﴾ فَقَالَ يَا أَبَا خَالِدٍ النُّورُ وَ اللهَّ- الْأَئِمَّةُ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ وَاللهَّ نُورُ اللهَّ الَّذِي أَنْزَلَ وَهُمْ وَاللهَّ نُورُ اللهَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ وَاللهَّ يَا أَبَا خَالِدٍ لَنُورُ الْإِمَامِ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْوَرُ مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ بِالنَّهَارِ وَهُمْ وَاللهَّ يُنَوِّرُونَ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ» (٧٥).

ومن ذلك أيضاً ما روي عن أبي جعفر «عليه السلام»، قال إن: «رسول الله «صلى الله عليه وآله» وضع العلم الذي كان عنده عند الوصي، وهو قول الله عز وجل ﴿اللهَّ نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ﴾، يقول: أنا هادي السماوات والأرض، مَثَلُ العلمِ الذي أعطيته، وهو نوري الذي يهتدى به، مثل المشكاة فيها مصباح، والمشكاة: قلب محمد «صلى الله عليه وآله»، والمصباح: النور الذي فيه العلم. وقوله: المِصْباحُ فِي زُجاجَةٍ يقول: إني أريد أن أقبضك، فاجعل العلم

الذي عندك عند الوصي، كما يجعل المصباح في الزجاجة، كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ فأعلمهم فضل الوصي، يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ فأصل الشجرة المباركة إبراهيم «عليه السلام»، وهو قول الله عز وجل: رَحْمَتُ اللهَّ وَبَرَكاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ «٣»، وهو قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللهَّ اصْطَفى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْراهِيمَ وَآلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ* ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ وَاللهَّ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ »[٧٦] فأنت تجد أنَّ الإمام يربط بين العلم والنور وهو ما أشرنا اليه سابقا، وإنَّ مصدر النور هو المصباح الذي في المشكاة، ويجعل صدر النبي صلى الله عليه وآله الحاوي لهذا العلم هو مصداق المشكاة الحاوية على المصباح؛ ذلك أنَّ العلم مرتبط بالقلب والقلب في الصدر، فإذا كان العلم هو النور فالقلب هو المصباح والصدر هو المشكاة، ربما ستقول إنَّ العلم في العقل وليس القلب؟! والإجابة على هذا التساؤل يمكن أن نجدها في المحور الخامس من هذا المبحث.

المحور الخامس: فلسفة القلب في القرآن الكريم

السائد أنَّ مصدر العلم ومنبعه هو العقل[٧٧] بيدَ أنَّ التدبر في مواردِ ذكرِ العقلِ والقلبِ في القرآن الكريم يقودنا إلى نتيجة أخرى تغاير هذا الفهم؛ ذلك أنَّنا ننتهج مع الألفاظ منهجًا مختلفًا، ونحن إذ نذكر القلب لا نعني به هذا العضو إطلاقًا، فإنَّ هذا العضو لا يعدو أنْ يكونَ مضخةَ دمٍ يمكن استبداله كما نجحت بعضُ العملياتِ الجراحية بذلك. نحن نعول كثيرا على مبحث اللغة لحل مثل هذه الاشكاليات.

إن استعمال القرآن للألفاظ هو على وفق معناها الحركي العام؛ لذا لا يمكن حصرها بأحد المصاديق وتعميمها على كل الموارد. فحينما يُورد القرآن الكريم ذكر القلب نجده يقرنه

بالتعقل، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ الحج: ٤٦، فتراه يجعل عملَ القلبِ هو التَعَقُّل وإنَّه هو الذي يعمى وليس الأبصار، وفي موردٍ آخرَ تراه يجعل عملَ القلبِ التَفَقّه، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ * لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا * أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ الاعراف:١٧٩.

إذًا فإنَّ عملية التعقل والتفقه هي من أعمال القلب[٧٨]، ولا أظن أنَّ أحدًا يشك أنَّها ليست من أعمال هذه العضلة القلبية[٧٩]، وهذا ما أكده الباحث الحسن عبد الحي في قوله: «يتحدث العلماء جدّياً عن دماغ موجود في القلب يتألف من اكثر من أربعين خلية عصبية وهو الذي يقوم بتوجيه الدماغ الذي في الراس لاداء مهامه»[٨٠]، وقال في موضع آخر: «وهذا ما أكده القرآن الكريم في عشرات الآيات والسنة النبوية في أحاديث صحيحة كلها مطبقة على أن محل العقل هو قلب الإنسان لا دماغه.... فالذي يفهم ويعقل هو القلب وليس الدماغ »[٨١]. وهذا لا يمنع أن نسميه قلباً، ولكن من حيثية معينة؛ ذلك أنَّ الاستعمال اللغوي للألفاظ هو بلحاظ المعنى الحركي ومدى انطباقه على المصداق، فالقلب مشتق من التقلب والإنقلاب، فأي شيء يصدق عليه أو أنَّ أبرز مظاهره هو التقلب صح أنْ تسميه قلبًا، فإنَّ الماكنة التي تقوم بالتقليب أو لها القدرة على الانقلاب «التقلب والانقلاب المكاني» سميت قَلَّابًا أو قَلَّابة، وأيضًا النقطة التي تقلب اتجاه الحركة سميت في الرياضيات نقطة انقلاب فهي

قلب، ألا ترى أنَّنا نسمي منتصف الشيء أو لُبَّهُ قلبًا؟؛ ذلك لأنَّ نقطة المنتصف أو المركز هي نقطة تحول اتجاه الحركة، فأنت حين تتحرك من الخارج الى الداخل تكون حركتك معكوسة حين تمر بالمركز فتكون من الداخل الى الخارج، لذلك سمي لب الشيء قلبه، وإنَّ عضلة القلب تقوم بتدوير الدم وتعد نقطة انقلاب حركته، فدم الشرايين منطلق من القلب إلى باقي أعضاء الجسد، أمَّا دم الأوردة فحركته عكسية أي من باقي أعضاء الجسم الى القلب. لذلك فهو قلب أيضًا[٨٢].

والعقل أيضا يقوم بتلقيب الأمور من كل جهاتها ليصل الى الحقيقة، و«قد يعكس المفهوم الأول الخاطئ عن الظاهرة، فيقلب المفهوم ويعلله؛ لذلك فهو قلب أيضًا ويقوم بالتعقل»[٨٣].

ونحن نعلم أنَّ هناك من يتخذ القرار في ذاتك، وسميناه الإرادة، وهي الأخرى متقلبة في الإرادات فقد تتبع ما تحب، وإنَّ اتباع الحب هو تفقه؛ لذلك فالإرادة هي قلب أيضًا، وهي مركز التفقه. لكن النص المعصوم يقدم لنا صورة أخرى عن عناصر المثل وشخوصه، وينقل لنا تفسير البرهان عددا من الروايات[٨٤] فيجعل المشكاة تارة النبي، وأخرى الأئمة عليهم السلام والمصباح النبي، ويروي جابر الانصاري أنَّ المصباح هو الإمام علي عليه السلام والزجاجة الحسنان عليهما السلام، وفي أخرى أنَّ المصباح الحسن عليه السلام والكوكب الدري فاطمة عليها السلام، ويجعل في أخرى الزجاجة الزهراء والنبي المشكاة وعلي المصباح. من ذلك ما ذكره القمي في تفسير هذه الآية: « يَقُولُ فِي قَوْلِ اللَّهِ ﴿اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ﴾ الْمِشْكَاةُ فَاطِمَةُ ع فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ كَأَنَّ فَاطِمَةَ ع كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ بَيْنَ نِسَاءِ

أَهْلِ الْأَرْض» [٨٥].

فكيف إذاً نتعامل مع هذه النصوص المختلفة؟؟؟؟!.

إنَّ الآية لا تجعل هذه العناصر هي حقيقة الانطباق الممثل لهم، بل إنَّها صيغة تشبيه، والتشابه ينظر من حيثية معينة، فمن الممكن أنَّ يتشابه شيآن مع شيء ثالث من حيثيتين مختلفتين، فأنا أشبه خالداً مثلا في الشكل وأنت تشبهه على سبيل الفرض بالخلق، فلا ضير من ذلك. فالتشبيه العام متلاحم في ما بينه من حيث إنَّ هناك مصباحاً في زجاجة ضمن مشكاة يوقد من شجرة مباركة، ولقد بيَّن أحد الباحثين أنَّ الشجرة المباركة هي شجرة النبوة الممتدة من آدم على نبينا وآله وعليه السلام إلى نبينا محمد «صلى الله عليه وآله»، لكن مفردات المثل يمكن أنْ تتحرك وتنطبق على كل الشخوص، فكلهم نور، وكلهم مصابيح، من حيث إنَّهم أهل العلم وخزنته، وكلهم الزجاجة، من حيث النقاء والشفافية والجمال، وكلهم مشكاة من حيث القوة والمتانة والذود وحماية المصباح[٨٦]. نعم لكننا إذا أردنا أنْ نخرج بصورة واضحة عن أركان هذا المثل وفقًا للنص القرآني والمأثور الإمامي فإننا نقول: إنَّ العامل المشترك بين كل هذه الروايات هو النبي صلى الله عليه وآله والزهراء عليها السلام، وإنَّ اتفاق أكثر من روايتين على أنَّ الكوكب الدري هو تمثيل للزهراء عليها السلام فإنَّ هذا يعني أنَّ الزهراء عليها السلام هي الزجاجة؛ ذلك أنَّه يجعل ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ فإذا كان الكوكب الدري تمثيلا للزهراء عليها السلام فإنَّ الزجاجة تشترك في هذا التمثيل أيضًا.

المبحث الثالث: الزجاجة وأهميتها في حفْظِ نور المصباح

المحور الأول: صدع الزجاجة وتأثيراته الجانبية

لما اتفق أكثر من نص على أنَّ

النبي صلى الله عليه وآله هو المشكاة أو صدره، وأنَّ النور هو علمه الذي أودعه في قلب الإمام علي عليه السلام «المصباح» صار في الإمكان تخيل المشهد، فالنبي صلى لله عليه وآله هو المشكاة الذي يحمي المصباح، فالنبي صلى لله عليه وآله في حياته كان يمثل رأس السلطة والقوة، فلا يستطيع أحدٌ الوصولَ إلى المصباح «الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام» ليطفأه؛ لأنَّ المخطط كان هو اطفاء هذا المصباح وسرقة محله؛ لذلك تجد رؤوس ذلك المخطط دائمي الالتساق بالنبي صلى لله عليه فلا يغادروه، حتى في الحروب هم معه في العريش لا يشهرون سيفا؛ ليقدموا للناس صورة أولية عن قربهم منه كيما إذا حانت ساعة الصفر تكون لهم أرضية خصبة يسندون إليها مطلبهم بالأحقية في الحكم.

ولكن ما أن انتقل «المشكاة» الى الرفيق الأعلى حتى أحاطوا بالمصباح من كل جانب يريدون اطفاءه والقضاء عليه.

وللوصول إلى «المصباح» عليهم أولا اجتياز «الزجاجة». إذ إنَّ «الزجاجة» تُمَثِّلُ خطرًا كبيرًا عليهم؛ لأنَّها تقوم بنشر النور الصادر من «المصباح»، وتمنع تلاعب الهواء بنار المصباح فتنظم عملية الاحتراق مما يجعل «المصباح» أكثر اشعاعا، إنَّها إذاً ستنشرُ النورَ وتفضحهم وتُعَرِّيهم أمام الملأ، ولكن ما السبيل للوصل إلى «المصباح»؟ ذلك لو أنَّهم أخمدوا نار «المصباح» فإنَّهم سينهون عمل «الزجاجة» ويتخلصون منها، لكن لا سبيل للوصل إلى «المصباح» إلا عن طريق «الزجاجة» المحيطة به، والمشكلة الأخرى هي أن أي محاولة لتجاوز «الزجاجة» فإن ذلك سيسبب كسرها؛ لأنَّها رقيقة ونقية، وعملية الكسر تلك ستسبب ضوضاء عالية تفضحهم أكثر، فكيف يصنع «الانسان»؟

سيعمد أولاً إلى إحداث صدع بسيط أو خدش بسيط في أحد جوانبها، ما يؤدي الى سريان الانفطار إلى كل جسم «الزجاجة» خلال الزمن إلى أنْ تتكسر بصورة طبيعية لا تثير الشك[٨٧].

وبرحيل «المشكاة» أصبحت «الزجاجة» دون حماية تواجه خطر الكسر، إنَّ الكسرَ الداخلي أشدُ وقعًا عليها من التكسر الخارجي، فحزنها المفرط على النبي صلى الله عليه وآله وفراقه وسلب الحق من بعلها أضعفها وكسر قلبها الرقيق، فاستغل «الإنسان» هذه النقطة، فعمد إلى محاربتها، حتى إنهم حاربوا بكاءها على أبيها، وقطعوا الشجرة التي كانت تستظل بظلها عند قبر النبي صلى لله عليه وآله. ثم توجه في زمرة ليحرقوا الدار على مَنْ فيها ويوجه ضربة تسببت بخدش «الزجاجة». إنَّها بداية الانفطار الذي سيكسرها. وفعلا تم لهم ذلك، إنَّها الفتنة.

ولكن لماذا كل هذا الحقد على «المصباح»؟ أو بالأحرى لماذا كل هذا الخوف من «المصباح»؟ ما الذي يخشى الإنسان أن يفضحه «المصباح»؟؟ ربما هذا ما سيبينه المحور الآتي:

المحور الثاني: طاعة الله بامتثال أوامره

إنَّ الانسان دوما في صراعٍ مع ما يحبه، فهو يحب أشياء مختلفة ومتناقضة أحيانا، لكن «الحب الذي يمثل العائق الأكبر، الحب المُذَهَّب بالإغراء هو حب الحكم، وهذا الحب قائم بالدرجة الأساس على بغض العبودية، إنَّه المنزلق الكبير والخطير والخيار الأصعب»[٨٨].

وكان النبي صلوات الله عليه وآله هو أول من لَبَّى دعوة الله للعبودية حين أخذ الميثاق من الخلق. وهو أول من قال: بلى، حين سأل الله تعالى: ألست بربكم[٨٩]؟؛ لأنَّه صلى الله عليه وآله لم يختر اختيارا قبل هذا الخيار، اختار أنْ يكون عبدا لله- وتلك قمة الحرية- اما من يرفض العبودية فإنَّه في الحقيقة يختار الحكم، يختار أنْ يكون نِدًّا لله لا

عبدًا له[٩٠].

نحن لا علاقة لنا بالشعارات التي ترفعها الألسن، نحن لا نعلم ما تسر الأنفس، لكننا نعلم أنَّ هذه الأفعال تقود للكشف عن بعض النوايا. نعلم جيدًا الا أنَّ من يرفض العبودية فإنَّه يطلب الحكم- ولو على نفسه فقط- وإن هذا المطلب هو تعالٍ على المتعالي الأوحد، هو تكبر على المتكبر الجبار؛ هو مواجهة لأعظم قوة. فماذا سيكون الناتج برأيك، حين يتصادم جسمان أحدهما هش هشاشة متناهية والآخر صلد صلب صلابة متناهية، أفلا تكون هذه نهاية الجسم الهش؟

إذاً فإنَّ مطلب الحكم هو مطلب المتجبرين، ولكن هؤلاء المتجبرين يتخفون خلف أقنعة التواضع وحب الاصلاح وحب لله سبحانه، فما هو الكاشف لهذا التجبر الخفي؟ هو أنْ تفرض عليهم طاعة مخلوق يماثلهم. إنها صدمة خانقة، إنَّهم إذ يرفضون الخنوع لله الجبار المتعالي المنتقم القوي فكيف تريدهم أنْ يقروا لمخلوق مثلهم؟ إنهم إذ لا يجهرون برفضهم لله سبحانه ويدعون أنَّهم يد الله في الأرض فإنَّ ذلك لأنَّهم لا يرونه و لا يمنع عنهم ما يريدون بل يحقق اراداتهم فهو إذاً ليس منافسا ملموسا لحكمهم، بل يتخذونه حجة لخداع الناس بأنَّه مصدر سلطتهم كما فعل ملوك الأرض قديما. وهذا التنافس يكون على أشده حين يكون المنافس من جنسهم[٩١].

وهذا الاختبار ليس فقط للملوك، إذ انهم الصورة المكبرة للرغبة الخفية بالحكم لدى الجميع، إنَّك إذ تمتعض من أحد الأحكام السماوية فإنَّ هذا نابع حقيقة من رفضك للحكم، وتجد في بعضهم الجرأة للتصريح بعدم قناعتهم به، ولكنهم يُخَرِّجُون الأمرَ على أنَّهم يشككون بأنه حكم لله تعالى، إذ ليس من المعقول أنْ يحكم

الله بهذا «كما يرونه هم»؛ ذلك لأنهم يرفضون الحكم؛ لأنَّهم لا يحبونه لا لأنَّهم غير مقتنعين به، اذ ان الاقتناع العقلي هنا مرفوع؛ ذلك اذ انك آمنت بالدعوى العامة والقضية بكلها وأقررت بحجيتها فليس لك أنْ ترد على التفصيلات، فإنَّ هذا الرد هو كالرد على الكليات، إنَّه يمثل رفضك للحكم الخارجي ورغبتك بحكمك أنت.

إنَّ هذا هو الابتلاء الذي وقع فيه ابليس، وآدم على نبينا وآله وعليه السلام، وبعض الانبياء، وكثير من بني آدم.

إذاً فرض طاعة شخص معين يماثلك بالوجود والمعطيات يثير فيك كوامن الرغبة العارمة بالحكم[٩٢]. هنا يكون الاختبار الحقيقي للنفوس، فمن كان خياره هو حكم الله سبحانه فإنه سيطيع ذلك الشخص، ومن كان خياره حكم نفسه فأكيد أنَّه سيخالف هذا الشخص. وحيث قلنا إنَّ بعضهم تَقَنَّعَ بطاعة الله سبحانه لمزاولة الحكم ثم انكشف حين برز المنافس، فإنَّ هناك من تقنع بطاعة المنافس ليصل للنتيجة نفسها؛ لذلك تطلب وجود كاشف آخر بالمعادلة نفسها. ذلك أنَّ الناس حين يرون في الرسول القدرة العجيبة ويرون الآيات على يديه وتلك القوة الهائلة الى جانبه عندها سيستسلمون له[٩٣]، لكن ذلك لا يعني موت حلمهم بأخذ مكانه.

ولما كان هذا المنافس الكاشف هو بشر يمكن قتله وازاحته من اللعبة فإنَّهم لن يعدموا وسيلة لفعل ذلك، وتتم العملية بنجاح ويتسارعون لتلقفها كتلقف الغلمان للكرة، ولكن الكاشف ما زال موجودا بينهم، لكنه ليس الرسول، وليس من يملك قلوب العباد بل هو قاتلهم، ومنافسهم، ومثار حقدهم. انه الكاشف الحقيقي للنفاق والإيمان وهو وصي الرسول صلى لله

عليه وآله وخليفته في أرضه. إنَّ عملية الكشف والفرز الأولى تمت على يد الكاشف الاول «نور الله»، وهو الولي الذي انتجبه الله سبحانه ليكون خليفة للنبي صلى الله عليه وآله وفيه تميز الكافر الرافض لله جهرة من المؤمن، ولكنه لم يكشف عن المنافق. هنا يكون دور الكاشف الذي قال الرسول صلى الله عليه وآله عنه:« يَا عَلِيُّ بِكَ يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ» (٩٤). وقال في مورد آخر: « يا علي بك يُعرف المؤمنون» وهم قلة قليلة ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ الواقعة:١٣-١٤ ولكن هناك من انطلت عليهم الخدعة وهم المضللون، هؤلاء بالإمكان انتشالهم من الظلمات الى النور، ومنهم كثير عادوا الى طاعة الكاشف وهم ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ الواقعة:٣٩-٤٠ يسمون انفسهم «المحبون»؛ لأنَّ الواقع هو أنَّ الحب هو المنجي، ولكن بالحبِّ الذي يكتسبُ فيه المحبُّ صفة من المحبوبِ وليس بالحب اللفظي؛ وبذلك يكون الإمام نوراً كاشفاً للمؤمن المحب.

الخاتمة

لا تقتصر السيميائيات على ميدان بحث محدد بل إنها تشمل ميادين بحث متنوعة جداً وكان النصيب الأوفر من اهتمام السيميائيين منصباً على قضية التواصل والدلالة وبيان الموضوع الرئيس للسيميائيات، هل هو التواصل أو الدلالة. ولم يقتصر النشوء السيميائي على العلماء الغرب فحسب بل كان للعلماء العرب إشارات واضحة تدلُّ على معرفتهم بهذا العلم وإدراكهم لأهميته في التحليل وكشف الحقائق المستورة أو المشفرة فقد ورد في مخطوطة تُنسبُ الى "ابن سينا" فصلٌ تحت عنوان «علم السيميا» قال فيه: «علم السيميا علمٌ يُقصد به كيفية تمزيج القوى التي في جواهر العالم الارضي، ليحدث عنها

قوة يصدر عنها فعل غريب...»[٩٥].

وقد خصص ابن خلدون في مقدمته فصلا لعلم اسرار الحروف أطلق عليه اسم " السيميا" وعند البوني وابن عربي أن من فروع السيمياء «استخراج الأجوبة من الأسئلة بارتباطات بين الكلمات حرفية يوهمون انها أصل في المعرفة، في معرفة ما يحاولون علمه من الكائنات الاستقبالية» [٩٦].

ومن أهم الحقائق القرآنية التي اقتضت الضرورة التاريخية أن تشفر ويعبر عنها بطريقة رمزية غاية في التعقيد هي قضية الأمانة الإلهية «الخلافة الإلهية» وبيان الشخص المخصص لحملها والقيام بأعبائها، فجاء هذا البحث ليسلط الضوء على أحد أهم الشخصيات المهدة لحامل هذه الأمانة وهي السيدة الزهراء عليها السلام.

فإنَّ الدور الذي أُنيط بالزهراء عليها السلام كان دورًا مهمًا، فكان ما قامت به بعد وفاة أبيها يمثل عملها كزجاجة بنشر النور إلى أوسع نطاق عن طريق المداعاة بحقها وبيان المظلومية، وهي وقفة شجاعة بالنسبة إليها بوصفها زجاجة رقيقة قابلة للكسر، ولعلها كانت حركة مقصودة منها أنْ تستغل طبيعتها الزجاجية لتضحي بنفسها من أجل قضيتها؛ قضية الولاية ومشروعها الاستخلافي، ومضت شهيدة.

فهي صلوات الله عليها مصداق واضح للنور؛ لأنها تمارس الوظيفة الأساسية لهذه الحركة وهي الكشف، وإنَّ اختلاف نور عن نور آخر هو في مصداق الكشف عن نوع المكشوف عنه وحجمه، فالله سبحانه هو النور الأكبر الأعظم وإنه الرب الأعلى؛ لأنه نور السموات والأرض بما يحويان، وقد عرفت أنَّ النبي صلى لله عليه وآله نور لكنه من حيثية أخرى فهو الكاشف عن معرفة لله سبحانه

والداعي له لذلك فهو «نور الله» أي المعرف به، وإنَّه يكشف عن الكافرين. وكذلك أمير المؤمنين، فإنَّه يمارس دور النبي صلى الله عليه وآله بالكشف، وإنَّ النبي يقاتل على التنزيل ويكشف الكافرين. فالإمام علي عليه السلام يقاتل على التأويل ويكشف المنافقين. فهم من شجرة واحدة يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، نورٌ على نور- إمام بعد إمام -.

وأخيرا لا نملك إلا أنْ نحمد الله الأول قبل الأحياء والإنشاء والآخر بعد فناء الأشياء، ونسأله أن يتقبل منا هذا القليل والصلاة الدائمة على المشكاة ومصباحها ونورها وزجاجتها وعلى الشجرة المباركة وسلم تسليما.

الهوامش:

١- السيميائيات النشأة والموضوع، سعيد بنكراد: ٧.

٢- ينظر: علم التشفير، فريد بايبروشون ميرفي: ١٤.

٣- السيميائيات النشأة والموضوع: ٨.

٤- ينظر: علم التشفير: ١٢.

٥- السيميائيات النشأة والموضوع: ١١.

٦- المرجع نفسه: ٩.

٧- ينظر: السيميائية الاصول، القواعد، والتاريخ، آن إينو، ميشال آريفيه، لوي بانييه، جان كلود كوكي، جان كلود جيرر، جوزيف كورتيس، ترجمة: رشيد بن مالك، : ٣٤.

٨- شفرات النص دراسة سيميولوجية في شعرية القص والقصيد، د. صلاح فضل، ٤.

٩- السيميائيات النشأة والموضوع: ١٠.

١٠- علم التشفير: ١١

١١- السيمياء والتأويل، روبرت شولز، ترجمة: سعيد الغانمي،: ١٤.

١٢- ينظر: علم التشفير: ١١.

١٣- ينظر: المرجع نفسه: ١١.

١٤- ينظر: المرجع نفسه: ١٢

١٥- السيمياء والتأويل: ١٣.

١٦- المرجع نفسه: ١٥.

١٧- السيميائيات النشأة والموضوع: ٢٦.

١٨- السيميائيات والتأويل مدخل لسيمائيات ش. س. بورس، سعيد بنكراد: ٣٣.

١٩- المرجع نفسه: ٣٣.

٢٠- السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، سعيد بنكراد: ١٥.

٢١- المرجع نفسه: ١٥.

٢٢- مدخل الى السيميائيات السردية، سعيد بنكراد: ٢٩.

٢٣- المرجع نفسه: ٤٣.

٢٤- ملاحظات مقدمة لترجمة كتاب الاسم العربي الجريح لعبد الكبير، محمد بنيس: ٨.

٢٥- ينظر: سيمياء التواصل الفني، د. الطاهر روابنيه : ٢٥١

٢٦- ملاحظات مقدمة لترجمة كتاب الاسم العربي الجريح: ٨.

٢٧- دور السيميائية اللغوية في تحليل النصوص: ١.

٢٨- المرجع نفسه: ٣.

٢٩- السمياء والتأويل: ٢٠.

٣٠- المرجع نفسه: ٢٠.

٣١- المرجع نفسه:٣٧.

٣٢- شفرات النص، دراسة سيميولجية في شعرية القص والقصيد: ١٧٧.

٣٣- المرجع نفسه: ١٧٧.

٣٤- السيمياء والتأويل: ٩.

٣٥- المرجع نفسه: ٩.

٣٦- المرجع نفسه: ١٥.

٣٧- دور السيميائية اللغوية في تحليل النصوص: ١.

٣٨- المرجع نفسه: ٢٠.

٣٩-ينظر: دورس في السيميائيات، حنون مبارك: ٧٩.

٤٠- ينظر: دور السيميائيات اللغوية في تحليل النصوص الشعرية:٢٠-٢١، ودروس في السيميائيات: ١٧، ٧٩.

٤١- ينظر: دروس في السيميائيات: ١٧.

٤٢- السيمياء والتأويل: ٣٣.

٤٣- ينظر: علم التشفير: ١٦

٤٤- ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٧/ ٣٩٦، والأمثل: ٦/ ٤٨٧.

٤٥- ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٧/ ٤٠٧، و تفسير الصافي: ٤/ ٤٣٦، والأمثل: ١١/ ٣٤.

٤٦- ينظر: العين، الخليل، مادة نور، والمحيط في اللغة، الصاحب بن عباد، مادة نور.

٤٧- تهذيب اللغة، الأزهري، مادة نور، و المصباح المنير، الفيومي، مادة نور.

٤٨- ينظر: جمهرة اللغة، ابن دريد، مادة نور، و: القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مادة نور.

٤٩- ينظر: الصحاح، مادة نور،

ولسان العرب، ابن منظور، مادة نور، وتاج العروس، الزبيدي، مادة نور.

٥٠- أساس البلاغة، الزمخشري، مادة نور.

٥١- الإنفكاك نسق فلسفي جديد، الباحث: سلام عبد الهادي: ١٠٧.

٥٢- تفسير مقاتل: ٢/ ٤٥٤.

٥٣- ينظر: التبيان، الطوسي: ٤/ ١٩٠، ومجمع البيان، الطبرسي: ٧/ ٢٢٣، وأنوار التنزيل، البيضاوي: ٥/ ٨٩.

٥٤- جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري: ١٩/ ١٨٧.

٥٥- معالم التنزيل، البغوي: ٦/ ٤٥.

٥٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي: ٥/ ٧٦.

٥٧- المصدر نفسه: ٥/ ٧٦.

٥٨- ينظر: معاني القرآن، النحاس: ٢/ ١٨٩، ومدارك التنزيل، النسفي: ٢/ ٤١٧.

٥٩- تفسير البحر المحيط، ابو حيان الأندلسي: ٨/ ٣١٣.

٦٠- زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي: ٤/ ٤٤٦.

٦١- الجامع لاحكام القرآن، القرطبي: ١٢ / ٢٥٦.

٦٢- الميزان في تفسير القران، السيد محمد حسين الطباطبائي: ١٥/ ١٢٠- ١٢١.

٦٣- ينظر: المرجع نفسه: ١٥/ ١٢٢.

٦٤- الانفكاك نسق فلسفي جديد: ١١٠.

٦٥- تكون الضوء وانعكاسه على الاجسام، ويكيبيديا، د.ت، من الرابط: https://m.marefa.org/%D٩%٨١%D٩%٨٨%D٨%٨٦%D٩%٨٨%AA%D٩%٨٨%D٩%٨٦/simplified

٦٦- تدفق الفوتونات بموجتين متعاقدتين، ويكيبيديا، د.ت، من الرابط https://www.ibelieveinsci.com/%D٩%٨٥%D٨%٨٧-

A٧٪D٨٪-٨٨٪D٩٪٨٧٪D٩٪
٨٨٪D٩٪٨١٪D٩٪٨٤٪D٩٪
-٨٦٪D٩٪٨٨٪AA٪D٩٪D٨
/٩F٪D٨٪

٦٧- الفوتون في الفيزياء ، ويكيبيديا ، ٢٠٢٢، على الموقع https:// ar.m.wikipedia.org /wiki / AA٪٪D٨٪٨٨٪D٩٪٨١٪٪D٩ ٨٦٪D٩٪٨٨٪D٩

٦٨- ينظر: الانفكاك نسق فلسفي جديد: ١١٠

٦٩- ينظر: المرجع نفسه: ١١٠.

٧٠- البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني: ٤ / ٦٦ .

٧١- ينظر: أصل الخلق،عالم سبيط النيلي :١٢٠- ١٩٣.

٧٢- بحار الأنوار، المجلسي: ٤/ ٥٤

٧٣- البرهان: ٤ / ٦٩ .

٧٤- بحار الأنوار: ١٥/ ٢٤، باب بدء الخلق

٧٥- الكافي: ١/ ١٩٤، وتفسير القمي: ٢/ ١٠٤.

٧٦- البرهان:٤/ ٦٧ .

٧٧- ينظر: المنطق، ابن سينا، ١/ ٣٥٠، والمختصر في المنطق، ابن عرفة، ١/ ٢٧.

٧٨- ينظر: جوامع الكلم/ شرح الزيارة الجامعة، الشيخ الأوحد: ٣/ ١٢٠

٧٩- ينظر: جواهر الحكم، الرشتي: ١٢/ ١٣٦

٨٠- أسرار القلب بين القرآن والعلم، المهندس الحسن عبد الحي الحسن: ١٢٣.

٨١- المرجع نفسه: ١٢٤.

٨٢- ينظر: مكارم الأبرار، الشيخ محمد الكرماني: ٧/ ١٨٩.

٨٣- الانفكاك نسق فلسفي جديد: ٣١٢.

٨٤- ينظر: البرهان: ٤ / ٦٧- ٧٣ .

٨٥- تفسير القمي: ٢/ ١٠٣، وتفسير فرات الكوفي: ٢١٨.

٨٦- ينظر: أصل الخلق، عالم سبيط: ١٢٥.

٨٧- ينظر: أصل الخلق وأمر السجود: ١٣٦.

٨٨- الإنفكاك نسق فلسفي جديد: ٢٥١.

٨٩- إشارت إلأحاديث التي وردت في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ الاعراف من الآية ١٧٢إلى ما ورد في الخطاب الإلهي في شأن عالم الذر بصورة مفصلة ليس هنا محل الإفاضة في شرحها.

٩٠- ينظر: مكارم الابرار، الحاج محمد كريم الكرماني: ٨/ ٢١٢.

٩١- ينظر: جواهر الحكم: ٧/ ١٠١.

٩٢- ينظر: أصل الخلق: ٢٢٣.

٩٣- ينظر: الإنفكاك نسق فلسفي جديد:٢٥٣.

٩٤- شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني: ١/ ٢٩٤.

٩٥- عنوان المخطوطة: كتاب الدر النظيم في أحوال التعليم، ابن سينا، نسخها محمد بن ابراهيم بن مساعد الانصاري، نقلا عن السيميائية الاصول والقواعد: ٢٨

٩٦- السيميائية، الاصول والقواعد :٢٩.

المصادر والمراجع:

١- القرآن الكريم

٢- أساس البلاغة، أبو القاسم جار الله الزمخشري «ت٥٣٨هـ» تحقيق: محمد باسل عيون السود دار الكتب العلمية بيروت ط:١، ١٩٩٨.

٣- أسرار القلب بين القرآن والعلم، المهندس الحسن عبد الحي الحسن، ط دار الأندلس، ٢٠١٦

٤- أصل الخلق،عالم سبيط النيلي، دار المحجة البيضاء- بيروت ط١ سنة ٢٠٠٤.

٥- الإنفكاك نسق فلسفي جديد، سلام عبد الهادي، مط: دار المحجة البيضاء، ط:١، ٢٠١٧

٦- أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بـ "تفسير البيضاوي" القاضي عبد الله بن ناصر بن عمر بن محمد البيضاوي «ت٧٩١ هـ»، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث، ط: ا، ١٤١٨هـ.

٧- البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، حققه وعلق عليه لجنة من العلماء الاخصائيين، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت، ١٤٢٧هـ .

٨- تاج العروس من جواهر القاموس،لأبي الفضل محمد مرتضى الزبيدي «١٢٠٥ هـ»، تحقيق: الدكتور علي مشيري، مط: دار الفكر- بيروت ، ١٩٩٤ م.

٩- تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بـ"ابن حيان الأندلسي"ت٧٤٥هـ»، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض. وشارك في التحقيق: د. أحمد النجولي، ود. زكريا عبد المجيد، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت،

١٤٢٢هـ.

١٠- تفسير مقاتل بن سليمان، مقاتل بن سليمان البلخي «ت١٥٠هـ»، تحقيق: أحمد فريج، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، ١٤٢٤هـ "د.ط".

١١- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن احمد الأزهري «ت ٣٧٠هـ»، تحقيق: محمد عوض مرعب و خران، مط: دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط: ١، ١٩٩٠ م .

١٢- جامع البيان في تفسير القرآن، أبو جعفر جرير الطبري «ت٣١٠هـ»، مط: الأميرية الكبرى، بولاق- مصر ، ١٣٢٣هـ .

١٣- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي «ت٦٧١هـ»، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم اطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية- القاهرة، ط:١٣٨٤،٢هـ .

١٤- جمهرة اللغة، محمد بن دريد «ت٣٢١هـ»، تحقيق: إبراهيم شمس الدين عطا ، مط: دار الكتب العلمية- بيروت، ط: ١ ،٢٠٠٥ م.

/ جوامع الكلم، الشيخ أحمد زين الدين الاحسائي «ت ١٢٤١ه»، مؤسسة الاحقاقي، ط:١،٢٠١١م.

جواهر الحكم، موسوعة علمية تتضمن كتباً ورسائل وخطبا ووصايا ومواعظ، السيد كاظم السيد قاسم الحسيني الرشتي «ت ١٢٥٨ه»، شركة الغدير للطباعة والنشر، البصرة- العراق، ١٤٣٢ هـ

١٥- دروس في السيميائيات، حنون مبارك، دار توبقال للنشر، ط١، ١٩٧٨م.

١٦- دور السيميائية اللغوية في تأويل النصوص الشعرية شعر البردوني نموذجاً، هيام عبد الكريم عبد

المجيد، رسالة ماجستير، اشراف د. وليد سيف، كلية الدراسات العليا، ٢٠٠١م.

١٧- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي «ت٥٩٧هـ»، تحقيق: عبد الرزاق مهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:١، ١٤٢٢هـ.

١٨- الصحاح «تاج اللغة وصحاح العربية»، إسماعيل بن حماد الجوهري «ت ٤٠٠هـ»، تحقيق: احمد عبد الغفار عطا، مط: دار العلم لملايين، ط: ١،١٩٥٦ م.

١٩- السيمياء والتأويل، روبرت شولز، ترجمة: سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ١٩٩٤م.

٢٠- السيميائيات، مفاهيمها وتطبيقاتها، سعيد بنكراد، دار الحوار، ط٢، ٢٠٠٥م.

٢١- السيميائيات، النشأة والموضوع، د. سعيد بنكراد، مجلة عالم الفكر، عدد:٣، مجلد: ٣٥، ٢٠٠٧م.

٢٢- سيميائيات التواصل الفني، د. الطاهر روابنيه، مجلة عالم الفكر، العدد:٣، مجلد: ٣٥، ٢٠٠٧م.

٢٣- السيميائيات والتأويل مدخل لسيميائيات ش.س. بورس، سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠٠٥م.

٢٤- السيميائية الاصول، القواعد، والتاريخ، آن إينو، ميشال آريفيه، لوي بانييه، جان كلود كوكي، جان كلود جيرر، جوزيف كورتيس، ترجمة: رشيد بن مالك، مراجعة وتقديم: عز الدين المناصرة، دار مجد لاوي للنشر والتوزيع، ط: ١، ٢٠٠٨م.

٢٥- شفرات النص دراسة

سيميولوجية في شعرية القص والقصيد، د. صلاح فضل، مط: دار روتابرينت، ط ٢، ١٩٩٥.
/ علم التشفير، فريد بايبر وشون ميرفي، ترجمة محمد سعد طنطاوي، مراجعة هاني فتحي سليمان، مط: هنداوي، ط١، ٢٠١٦م.
٢٦- العين «معجم لغوي»، أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي «ت١٧٥هـ»، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، مط: مؤسسة دار الهجرة، ط ٢،٢٠٠١م.
٢٧- القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مط: دار الفكر- بيروت .
٢٨-كشف الغمة ، علي بن عيسى الأربلي «ت ٦٩٢ه»، مكتبة بني هاشم تبريز، ط:١، ١٣٨١ه.
٢٩- لسان العرب، العلامة محمد بن مكرم بن منظور«ت٧١١هـ»، تحقيق: عامر احمد، مط: دار الكتب العلمية- بيروت، ط ١، ٢٠٠٥ م.
٣٠- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو الفضل بن الحسين الطبرسي «ت٥٤٨هـ»، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، مؤسسة الأعلمي- بيروت، ط:١٩٩٥،١ م.
٣١- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، القاضي عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي«ت٥٤٦هـ»، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، مط: دار الكتب العلمية-بيروت ، ط ١، ١٤٢٢هـ.
٣٢- المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد «ت٣٨٥هـ»، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط:١، ١٤١٤هـ.
٣٣- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، المسمى بـ تفسير النسفي، الإمام

عبد الله بن احمد بن حمود النسفي «ت٧١٠هـ»، تحقيق: يوسف علي بديوي، تقديم محيي الدين، دار الكلم الطيب، بيروت، ط:١، ١٤١٩هـ.

٣٤- مدخل الى السيميائيات السردية، سعيد بنكراد، دار بتخل للطباعة والنشر،مراكش، ط١٩٩٤،١

٣٥- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، محمد بن علي الفيومي«ت٧٧٠هـ»، مط: دار الهجرة، ط: ١٤٠٥،١ هـ.

٣٦- معالم التنزيل، المسمى بـ «تفسير البغوي»، الحسين بن مسعود البغوي «ت٥١٦هـ» ، تحقيق: محمد عبد الله نمر، وعثمان جمعه، وسليمان مسلم، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ.

٣٧- معاني القرآن الكريم، احمد بن محمد أبو جعفر النحاس«تـ ٣٣٨هـ»، تحقيق: الشيخ محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى مركز إحياء التراث الإسلامي مكة المكرمة،١٩٨٩م.

/ مكارم الأبرار، الحاج محمد كريم خان الكرماني «ت ١٣٢٤ه»، شركة الغدير للطباعة والنشر، البصرة- العراق١٤٣٤ه.

٣٨- ملاحظات مقدمة لترجمة كتاب الاسم العربي الجريح لعبد الكبير، محمد بنيس، دار العودة، بيروت، ط١٩٨٠،١ .

٣٩- الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، صححه وأشرف على طباعته الشيخ الأعلمي، مؤسسة الأعلمي- بيروت، ط: ١٩٩٧،١ م .

مواقع الانترنت:

١- تكون الضوء وانعكاسه على الاجسام، ويكيبيديا، د.ت، من الرابط: https: //m.marefa.

D%٨٨%D٩%٨١%org/%D٩
%٨٨%D٩%٨٤%D٩%
%٨٨%D٩%٨١%D٩%
-٨٦%D٩%٨٨%AA%D٩%D٨
٩F%D٨%

simplified

٢- تدفق الفوتونات بموجتين متعاقدتين، ويكيبيديا، د.ت، من الرابط https://www.ibelieveinsci.com/%D٩%٨٥%D٨%٨٧-
٨٧%D٨%-٨٨%D٩%٨٧%D٩%

٣الفوتون في الفيزياء ، ويكيبيديا، ٢٠٢٢، على الموقع https://ar.m.wikipedia.org/wiki/%D٩%٨١%D٨%٨٨%D٩%
AA%
٨٦%D٩%٨٨%D٩